الجمهورية الجزائرية الدمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة د مولاي الطاهر سعيدة

كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية

التخصص : فلسفة

مذكرة التخرج لنيل شهادة الماستر بعنوان :

الأصول الفلسفية للحركات الباطنية

من إعداد الطالب : **تحت إشراف الأستاذة :**

شريفي عبد القادر **سنوسي فضيلة**

السنة الجامعية : 2016/2015

المقدمة

لقد عرفت الساحة الفلسفية والفكرية في العالم الإسلامي العديد من الموجات الفكرية والتيارات والفلسفية التي تعددت مشاربها وتباينت اتجهاتها ،وكان من بين أهم هذه الحركات الفرق الباطنية التي سجلت حضورها مبكرا بحيث يمتد وجودها إلى عهد الخلافة الراشدة وبالتحديد في خلافة علي بن أبي طالب ،هذه الفترة التي عرفت الكثير من الانقسامات السياسية فظهرت الفرق والأحزاب السياسية كالخوارج والشيعة وتبلور مفهوم المعارضة السياسية ،وظهر جليا الصراع على السلطة وبرز الى السطح الكثير من السجال الفكري والسياسي ،وقد مهدت هذه المرحلة الحساسة في التاريخ الإسلامي لظهور الحركات الباطنية بكل ما تحمله معها من معارف واصول فلسفية أو دينية كان لها أثرها وتجلياتها على الساحة العلمية والدينية والسياسية .

ومن هنا جاء هذا البحث الموسوم بـ: "الأصول الفلسفية للحركات الباطنية" كموضوع بحث لمذكرة التخرج ،والحقيقة أن الأصول الفلسفية ، والروافد الفكرية لمثل هذه الحركات متعددة ومتشعبة وقد فصّلت فيها الكثير من الدراسات ، والتآليف السابقة من المتقدمين والمتأخرين ولعل أشهرها كتاب الملل والنحل للشهرستاني والفرق بين الفرق للبغدادي وفضائح الباطنية للغزالي، ابن سعيد الإصْطَخري المعتزلي كتب ردًّا على الباطنية أهداه للخليفة العباسي القادر وكتاب بغية المرتاب في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية أهل الإلحاد من القائلين بالحلول والاتحاد لابن تيمية وكتاب الفصل في الملل والنحل لابن حزم الأندلسي وثابت بن أسلم النحوي الشيعي له مصنف فضَح فيه أسرار الدعوة الإسماعيلية ، والقرامطة لابن الجوزي،ومن كتب الشيعة كتاب" فرق الشيعة" للنوبختي وكتب "المقالات والفرق " لسعد بن عبد الله القمي" أما من المعاصرين فلعل كتاب مذاهب الإسلاميين لعبد الرحمن بدوي من أهمها ،وكتب ومؤلفات إحسان إلهي ظهير كالبهائية والبابية التي تعبر عن الباطنية المعاصرة والمتفرعة عن الإسماعيلية الفرقة الأم .

دواعي الموضوع :

ولعلّ أهم ما دعاني إلى اختيار هذا الموضوع هو الرغبة في الوقوف على حقيقة بعض الفرق والاتجاهات التي انتسبت إلى الفكر الإسلامي ،وصارت جزءا من التاريخ ،و الفلسفة الإسلاميين بحيث ابتكرت أصولا ونظريات خاصة بها تصطدم في أغلبها مع الموروث الإسلامي إلى حد التناقض، وكان لهذا السجال الفكري، والفلسفي أثره على الحياة السياسية في العالم الإسلامي ،فقد نشأت دول وممالك وضمرت أخرى ،وزالت بفعل هذه الحركات الإديولوجية ذات الأبعاد السياسية والدينية ،والتي كانت تتغذى بتيار الشعوبية دون إهمال الاستثمارفي الوضع الاجتماعي ،والجدير بالذكر أن هذه الفرق الباطنية لا تجاهر بارائها فهي تعتمد كل الطرق والأساليب لتجييش الأتباع والمتعاطفين لمصلحة الدعوة فهي تتحاشى الإصطدام مع الخصوم في أول الأمر وتغلف دعواتها بشعارات براقة جذابة تستهوي السواد الأعظم من الناس ،ولهذا فقد كان دعاة الحركة على مرّ التاريخ يوظفون المصطلحات والمفردات الشرعية والدينية للتعبير عمّا استحدثوه من معاني وأصول ولذلك احتاج الباحثون في العقائد الإسماعيلية إلى مزيد بحث وتدقيق واعتماد منهج الدراسة للوقوف على مكنونات معتقداتهم خاصة مع حرصهم على التكتم وانتهاج السرية وممارسة التقية ،فهم لا يودعون أسرار مذهبهم إلا لخاصتهم، وأحيانا لخاصة الخاصة ،بل ويعدون إفشاء الأسرار إلى غير أهلها خيانة للأمانة ولم تظهر العقائد النصيرية إلى العلن إلا في عصر الحديث بعدما أصبحت لهم تيارات وواجهات سياسية وتمثيليات مع استقوائهم بالاستعمار الفرنسي على وجه الخصوص الذي مكنهم من اعتلاء المشهد السياسي وحتى العسكري ضف إلى هذا ظهور ما يسمى بالدولة المدنية ذات الطابع العلماني والتي تنظر إلى الأديان والطوائف بقدم المساواة على أنها حريات شخصية .

الإشكالية :

ولعلّ التساؤل الذي يطرح نفسه بإلحاح هو الحديث عن حقيقة انتساب الحركات الباطنية إلى الإسلام،وبناء على ذلك تحاول هذه الدراسة الإجابة على مجموعة من الإشكاليات نسوقها كالآتي:

- ما المقصود بالحركات الباطنية وهل وجودها كان حتمية فرضتها التغيرات السياسية والاجتماعية على العالم الإسلامي وأنها لا تخرج عن إطار التطور الطبيعي والاجتهاد العلمي الذي تمر به أغلب المجتمعات والحضارات وبالتالي فهي لا تختلف عن الفرق الكلامية والمدارس الفقهية التي عرفها المسلمون كالمعتزلة والماتريدية والخوارج والشافعية والمالكية والظاهرية والزيدية؟

- هل الحركات الباطنية عنصر دخيل على الإسلام ليس له من الإسلام إلا الرسم بحيث أنها تقوم على أصول مناقضة تماما لأصول الدين الإسلامي وما اتفقت عليه أغلب الفرق في باب العقائد ومصادر التلقي ، أم أنها حركات متأصلة تستمد وجودها وأصولها من عمق المجتمع العربي والإسلامي ؟

- ما مدى إسهام الحركات الباطنية في الحقل المعرفي والفلسفي في البيئة الإسلامية والعربية؟

وهذا ما حاولنا التقصي عنه للوقوف على حقائق الأمور معتمدين الدراسة النقدية .

خطة البحث:

لقدكان هذا التصور العام الذي انطلق منه بحثنا والهاجس المركزي الذي تمحور حوله اهتمامنا، والّذي اقتضى منا تقسيم البحث إلى ثلاثة فصول فقد تناولت في الفصل الأول تعريف الحركات الباطنية مع ذكر سبب التسمية ثم التطرق إلى علاقة الباطن بالتأويل والباعث على التأويل وبعدها تم التطرق إلى أهم فرق الإسماعيلية باعتبارها حركات باطنية بداية بالقرامطة مع التعرض إلى أهم معتقداتهم وتأويلاتهم ثم حركة العبيديين الفاطمية وأهم شخصياتهم ،أما الفصل الثاني فقد تناولت فيه

أصولهم الفلسفية اليونانية منها والفارسية التي تأثرت بدورها باليهودية والنصرانية متبوعا بالفصل الثالث حيث اشتغلت على الأنموذج وهو الفرقة النصيرية أو العلوية كما يسمون أنفسهم مع محاولة إبراز بعض التجليات للأصول الفلسفية اليونانية والفارسية والمسيحية في عقائد المذهب مبرزا الآثار السياسية لهذه الطائفة وعلاقتها بالاحتلال الفرنسي متبوعا بفتوى ابن تيمية في الطائفة النصيرية موظفا المنهج الكرونولوجي التاريخي مع النقد والتحليل وتليها خاتمة .

الفصل الأول :

نبذة تاريخية عن أهم الحركات الباطنية

المبحث الأول: الحركات الباطنية – المفهوم والنشأة - التأويل ودوره في نشأة الحركات الباطنية

المبحث الثاني : الإسماعيلية فرقهم وعقائدهم و أهم شخصياتهم

المبحث الثالث:الإسماعيلية العبيدية النشأة والتطور وأهم الشخصيات

المبحث الأول: الحركات الباطنية المفهوم والنشأة ودور التأويل في نشأتها

ماهية الباطنية :

لغة : لفظ الباطنية مأخوذ من كلمة بطن بمعنى خفي فهو باطن, جمعه بواطن, واستبطن أمر وقف على دخلته, والباطنة بالكسرة, السريرة, والباطن هو داخل كل شيء ومن الأرض ما غمض يسمى باطنا [1]

والباطن هو الخافي، ويقصد بالعلم الباطن -عند أهله- معرفة الأسرار والخفيات كـ(علم الجفر)، أو (علم الحروف) الذي يدعي أصحابه أنهم يعرفون به الحوادث إلى انقراض العالم، أو (القبالة) التي هي تفسير التوراة السري بالأرقام والحروف، وكعلم السحر والطلسمات وعلوم التنجيم والعرافة وغيرها. [2]

والباطنية اصطلاح عام يطلق على جمع من الطوائف والفرق المتعددة المتشعبة, وبينها قاسم مشترك هو الاعتقاد بالظاهر والباطن, وتأويل نصوص الشريعة تأويلا باطنا يتوافق مع معتقدات زعموا أنهم اختصوا بها وبمعرفتها دون سواهم وبهذا يعلم أن الباطنية ليست فرقة واحدة, وإنما فرق متعددة.

سبب التسمية :

وقد بين سبب التسمية الشهرستاني :" وإنّما لزمهم هذا اللقب لحكمهم،بان لكل ظاهر باطنا،ولكل تنزيل تأويلا،ولهم ألقاب كثيرة سوى هذه على لسان قوم ،فبالعراق يسمّون الباطنية والقرامطة والمزدكية،وبخراسان التعليمية والملحدة،وهم يقولون نحن إسماعيلية لأننا تميزنا عن فرق الشيعة بهذا الاسم "[3]

-- محمد بن أبي بكر الرازي مختار الصحاح، ترتيب محمود خاطر، دار الفكر ط1 بيروت لبنان 2001، ص 61[1]
-جميل صليبا المعجم الفلسفي ج1 دار الكتاب اللبناني بيروت 1982 ص195 [2]
-محمد عبد الكريم الشهرستاني الملل والنحل ج1 دار الكتب العلمية ، ط 9 بيروت لبنان 2013 ، ص201- 202[3]

وبهذا يلحق بها الفلاسفة ،و غلاة المتصوفة من القائلين بالحلول ووحدة الوجود ،والجهمية فمذاهبهم قائمة على التأويل والقول بالظاهر والباطن والحقيقة والشريعة لكن عند الإطلاق فينصرف المعنى إلى فرق الشيعة الإسماعيلية وما تفرّع عنها من طوائف .

يقول الغزالي (ت 505هـ): «إن الباطنية إنما لقّبوا بها لدعواهم أن لظواهر القرآن والأخبار بواطن تجري مجرى اللب من القشر، وأنها بصورها توهم عند الجهّال الأغبياء صورا جلية، وهي عند العقلاء والأذكياء رموز وإشارات إلى حقائق معينة» [1]

[1] -أبو حامد الغزالي فضائح الباطنية -المكتبة العصرية - صيدا-بيروت 2001، ص 11

نشأة الحركات الباطنية :

يعتقد البعض أن بداية الحركات الباطنية كفكرة كانت مع دعوة عبد الله بن سبأ في خلافة علي بن أبي طالب لكن كمذهب فيرجح أصحاب السير إلى أنها ظهرت في زمن المأمون حيث يقول البغدادي :"وذكر أصحاب التواريخ أن دعوة الباطنية ظهرت أولا في زمان المامون ،ثم انتشرت في زمان المعتصم .[1]

يقول البغدادي: "الذين أسسوا دعوة الباطنية: جماعة منهم ميمون بن ديصان المعروف بالقداح، وكان مولى لجعفر الصادق, وكان بالأهواز ومنهم: محمد بن الحسن بدندان، اجتمعوا كلهم مع ميمون بن ديصان في سجن العراق، فأسّسوا في ذلك السجن مذاهب الباطنية..، ثم رحل ميمون بن ديصان إلى ناحية المغرب، وانتسب في تلك الناحية إلى عقيل بن أبي طالب، وزعم أنه من نسله, فلما دخل في دعوته قوم من غلاة الرفض والحلولية، ادعى أنه من ولد إسماعيل بن جعفر الصادق ثم ظهر في دعوته إلى الباطنية رجل يقال له حمدان بن قرمط.... وإليه ينتسب القرامطة." [2]

يبدو ان البغدادي من خلال ما ذكره يميل إلى نظرية المؤامرة في أصل نشأة الباطنية ،حيث ان الدوافع كانت سياسية إديولوجية تغذيها النزعات والنعرات الشعوبية الحاقدة .

1-عبد القاهر البغدادي الفرق بين الفرق المكتبة العصرية صيدا بيروت 2013 ص 228

2-المصدر نفسه ص102

دور التأويل في نشوء الفرق الباطنية :

التأويل لغة :
مادة (أول) في كل استعمالاتها اللغوية تفيد معنى الرجوع، والعود، جاء في اللسان: الأول: الرجوع: آل الشيء يؤول أولاً ومآلاً: رجع، وأول إليه الشيء: رجعه، وآلت عن الشيء: ارتددت ...والإيل والأيل: من الوحش، وقيل هو الوعل، قال الفارسي: سمي بذلك لمآله إلى الجبل يتحصن فيه ...وقال أبو عبيد في قوله : "وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ " آل عمران:7 قال: التأويل المرجع والمصير، مأخوذ من آل يؤول إلى كذا أي صار إليه، وأولته: صيرته إليه .[1]

وفي معجم التعريفات التأويل: في الأصل الترجيع [2]

التأويل في اصطلاح العلماء له ثلاث معاني :

وقد أوردها ابن تيمية وهي كالتالي :

أحدها: "أن يراد بالتأويل حقيقة ما يؤول إليه الكلام، وإن وافق ظاهره. وهذا هو المعنى الذي يراد بلفظ التأويل في الكتاب والسنة، كقوله تعالى: {هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ} [الأعراف:53]، ومنه قول عائشة: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده" سبحانك اللهم ربنا ولك الحمد، اللهم اغفر لي"، يتأوَّلُ القرآن.

والثاني: يراد بلفظ التأويل :التفسير، وهو اصطلاح كثير من المفسرين، ولهذا قال مجاهد إمام أهل التفسير: إن الراسخين في العلم يعلمون تأويل المتشابه، فإنه أراد بذلك تفسيره وبيان معانيه مما يعلمه الراسخون.
والثالث: أن يراد بلفظ [التأويل]: صرف اللفظ عن ظاهره الذي يدل عليه ظاهره إلى ما

---

1 - ابن منظور لسان العرب دار صادر بيروت،2011 - ج/1 ص194
2- الجرجاني معجم التعريفات ص46 –دار الفضيلة للنشر والتوزيع القاهرة 2004 ص46

يخالف ذلك؛ لدليل منفصل يوجب ذلك"[1] وهذا ما اصطلح عليه بعض الأصوليين والمتكلمين .

والمعنى الثالث هو المراد عند فرق الباطنية فقد بالغوا فيه الى حد الإسراف حتى صار أقرب إلى التحريف منه إلى التأويل إلا أنّهم اختلفوا في معنى الدليل فمنهم من يحكّم العقل على النص ومنهم من يحكّم الذوق والوجدان واختلفوا وصاروا نحلا وملا .

الباعث على التأويل الباطني :

ويرى عبد الرحمن بدوي أن هذا التأويل الباطني يعتبر القاسم المشترك بين جميع الطوائف الباطنية للاسباب التالية :

1-التحرر من النصوص المقدسة بغية التوفيق بين النص ، ومذهب صاحب التأويل .

2-التحرر من النصوص المقدسة ابتغاء التوفيق بين مفهوم النصوص ، وما يقتضيه العقل .

3-الرغبة في تعميق النص المقدس الذي يتسم بالسذاجة ابتغاء الوصول الى روح النص ومعانيه الموغلة في العمق .

وقد امتد هذا النوع من التأويل حتى إلى الأعمال الأدبية كإلياذة هوميروس التي لم تنج من التأويل. [2]

وقد كانت بداية التأويل مع مفكري اليونان حيث وظّف انتسثانس[3]Antisthenes التأويل في شرحه لإلياذة هوميروس، ومثله زينون الرواقي ، ومثله التأويلات الهوميرية لهيروقليدس وقد انتقل هذا النوع من التأويل الرمزي إلى اليهودية عن طريق فيلون اليهودي، وكان الدافع له هو الدفاع عن التوراة التي تعرضت إلى سخرية ،واستهزاء

[1] - ابن تيمية مجموع الفتاوىج/4 تحقيق عامر الجزار –أنور الباز دار الوفاء -المنصورة –مصر ص 45

[2] - عبد الرحمن بدوي مذاهب الاسلاميين ، دار العلم للملايين ببيروت 1997 ص831

[3] - فيلسوف سوفسطائي (450ق-366ق م) ولد باثينا ينتمي الى المدرسة الكلبة تاثر بسقراط وفيثاغورس وانتقد نظرية المثل لدى افلاطون كان يميل الى الزهد والتقشف وحياة التسول والتشرد انظر تاريخ الفلسفة اليونانية يوسف كرم ص251

المفكرين اليونانيين الذين وصفوها بالسذاجة وباللامعقولة فقد كان أبراهام يرمز إلى النور أو العقل وسارة ترمز إلى الفضيلة ،ثم وصل منهج التأويل الى الديانة المسيحية بعد الانتقادات التي تلقتها الكنيسة من طرف أنصار الأفلاطونية المحدثة وومن أبرز المدافعين عن المسيحية الأب أوريجانس الذي تأثر بمنهج فيلون اليهودي [1]

والملاحظ أن بروز التأويل بداية كان يهدف إلى المحافظة على حرمة النصوص المقدسة سواء كانت أدبية كإلياذة هوميروس ، او دينية كالتوراة ، والإنجيل فقدسية النصوص تقتضي المحافظة على الرسم، أو النص من حيث الشكل مع التصرف في المعنى بما يتلاءم مع العقل أو رأي صاحب النص .

ولم تتوقف مسيرة التأويل عند المسيحية لكنها انتقلت إلى الفرق ، والمذاهب الإسلامية على اختلاف مشاربها التي ظهرت إلى الوجود في مرحلة متأخرة فكان عند المتكلمين والنظار ، وقد تجلى ذلك في مسائل الأسماء ، والصفات عند الأشاعرة، والمعتزلة ، ومن ذلك قول القائل :

"وكل ما جاء بلفظ يوهم أوّله أو قل فيه ربي أعلم" [2]

وكانت حجتهم في النزوع إلى التأويل هو تنزيه الباري عما لا يليق به من الصفات والأحوال التي تستلزم التشبيه فوزنوا النصوص بميزان العقل، فادعوا أن ظاهر النصوص غير مراد ،وكان للمتصوفة أنصار التفسير الرمزي أو الإشاري الحظ الأكبر من التأويل إلى حد تفقد فيه النصوص الدينية هويتها وقد تجلى ذلك عند القائلين بوحدة الوجود على وجه الخصوص كما في إشارات ابن عربي[3] في الفصوص والحامل لهم على النزوع إلى التأويل إلى حد التعسف هو ملاءمة النصوص مع مذاهبهم الفلسفية الصوفية فألبسوا الفلسفة لباس الدين .

---

[1] -مذاهب الإسلاميين ص755 -757 بتصرف

[2] - السيد عثمان بن حسين الجعلي المالكي سراج السالك شرح اسهل المسالك دار صادر بيروت 1994 ط1سنة ص 16

[3] -العلاّمة صاحب التواليف الكثيرة محيي الدين أبو بكر محمد بن علي بن محمد بن أحمد الطائي الحاتمي المرسي بن العربي ، نزيل دمشق ، وكان ذكيا كثير العلم ، كتب الإنشاء لبعض الأمراء بالمغرب ، ثم تزهد وتفرد ، وتعبد وتوحد ، وسافر وتجرد ، وأتهم وأنجد ، وعمل الخلوات وعلق شيئا كثيرا في تصوف أهل الوحدة . ومن أردأ تواليفه كتاب " الفصوص

ومن الفرق الإسلامية التي كان للتأويل الأثر البالغ في مذاهبها، وأصولها الطائفة الشيعية بمختلف فرقها ومذاهبها ، فقد كان لها حصة الأسد من التأويل والجنوح إلى التأويل كان لنصرة المذهب، والطائفة ليتم ليّ أعناق النصوص بما يتلاءم مع أهوائهم واتجاهاتهم ، وقد ظهر ذلك جليا في عقائد الإسماعيلية كالعبيديين ، وما تفرع عنها من انقسامات كالنصيرية والحشاشين والدروز كما سيأتي بيانه .

المبحث الثاني : الإسماعيلية أهم فرقهم وعقائدهم

أهم الحركات الباطنية :

الفرق الباطنية متعددة ومتشعبة ومتداخلة وقد تعرضت لانقاسامات أفرزت عدة اتجاهات وتيارات ولذلك سنقتصر على أهمها وأشهرها ممن تركت بصمتها على الساحة الفكرية وحتى السياسية ولذلك يمكن الاقتصار على الفرقة التالية :

الإسماعيلية :

وهي الفرقة الأم التي تفرعت عنها مذاهب وحركات متباينة تجمع بينها قواسم مشتركة وتختص كل طائفة عن الأخرى بأصول وعقائد ومبادئ .

ومن أسمائها الباطنية والخرمية والبابكية القرامطة المحمرة السبعية والتعليمية ولكل اسم مناسبة أغفلنا ذكره طلبا للاختصار .

تعريفها :

فرقة باطنية تنسب للإمام إسماعيل بن جعفر الصادق [1] وقد توفي إسماعيل قبل أبيه الصادق بأعوام مما جعل الإسماعيلية يتفرقون فمنهم من أثبت الإمامة لإسماعيل زاعما أنه إنّما غيبه أبوه على وجه التلبيس خوفا على حياته[2] ، وبعضهم قال بانتقال الإمامة إلى محمّد ابن إسماعيل بعد وفاة أبيه [3].

فرَقها :

الإسماعيلية القرامطة :

وهي حركة باطنية ذات أبعاد سياسية واجتماعية ،تفرعت عن المباركية نسبة إلى المبارك مولى إسماعيل بن جعفر الصادق قالوا بإمامة محمد بن جعفر الصادق وقد ظهرت هذه الحركة بالتسمية الجديدة (القرامطة)في منتصف القرن الثالث الهجري [4].

سبب التسمية :

ذكر ابن الجوزي ستة أقوال في سبب تسميتهم بالقرامطة هي :

[1] - د.شوقي ابو خليل -أطلس الفرق والمذاهب الاسلامية - دار الفكر دمشق 2009- ص 404
[2] -عبد الرحمن بدوي مذاهب الاسلاميين دار العلم للملايين ببيروت1997 ص 831
[3] -الدكتور فيصل بدير عون "علم الكلام ومدارسه" دار الثقافة للنشر والتوزيع القاهرة، ب ت ص 89
[4] -عبد الرحمن بدوي مذاهب المتكلمين ص 358

1- أن لهم رئيس من السواد من الأنباط يلقب بقرموطيه فنسبوا اليه .
2- أن أول من أشير لهم ذلك المحبة محمد الوراق المقرمط وكان كوفيا .
3- أن قرمطا كان غلاما لإسماعيل بن جعفر لأنه احدث لهم مقالاتهم فنسبوا اليه
4- أن بعض دعاتهم نزل برجل يقال له:" كرمية" فلما رحل تسمى بقرمط بن أشعب ثم أدخله في مذهبه .
5- أن بعض دعاتهم رجل يقال له: "كرمية" فلما رحل تسمى باسم ذلك الرجل ،ثم خفف الاسم ، فصار قرمط .
6- أنهم لقبوا بهذا نسبة إلى رجل من دعاتهم يقال له حمدان بن قرمط [1]

النشأة :

تشير أكثر المصادر إلى أنّ مؤسّس مذهب القرامطة هو حمدان بن الأشعث الملقّب بقرمط، وكان داهية من الكوفة وأصله فارسيّ مجوسيّ، وقيل صابئيّ. وكان قد دخل في بداية حياته في مذهب الإسماعيلية الباطنيّة على يد حسين الأهوازي ابن مؤسّس المذهب الإسماعيلية العبيدي عبدالله بن ميمون بن ديصان القدّاح اليهودي، وقد عُرف عن حمدان شخصيّته القويّة وعلاقاته الاجتماعية الكثيرة ورأيه المقنع، وكان يعيش ضمن مجتمع يحقد على الخلافة العبّاسية، كلّ هذه الأمور مجتمعة ساعدته على نشر مذهبه، لكنّ حمدان القرمطي سرعان ما انقلب على الإسماعيليّة الباطنيّة منشئاً مذهبه الخاصّ به، كما أنشأ مركزاً له في الكوفة عام 277هـ أسماه دار الهجرة .ومن هذا المركز بدأ حمدان بإرسال دعاته الذين انتقاهم بدقّة لنشر دعوته بين جهلة الناس عامّة وبين المجوس المتستّرين وأحفاد اليهود

[1] -الامام عبد الرحمن بن الجوزي القرامطة بتصرف دار الطباعة المكتب الاسلامي ص38-44

بصورة خاصّة، ومن أشهر دعاته أخوه مأمون وزكرويه بن مهرويه الذي ورث عن أبيه كره الإسلام وأمل القضاء عليه وتأسيس دولة فارسية على أنقاضه تقوم على أساس الدين المجوسي، وكذلك كان ابن عمّ حمدان وصهره عبدان مفكّر القرامطة وأبو الفوارس قائد تمرّدهم عام 289، وأبو سعيد الجباني في البحرين ،وقد شرع حمدان في إعداد الدعاة باستدراجهم على طريقته وبثهم في البلاد المجاورة وفرض عليهم أموال منها **الفطرة** ،ثم **الهجرة** وتلا عليهم "خذ من أموالهم صدقة "ثم زاد إتاوة مالية سمّاها **البلغة** قدرها سبعة دنانير وادعى أن ذلك هو البرهان المراد في قوله تعالى :" قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين "فلما أجابوه فرض عليهم دفع الخمس وتلا عليهم قوله تعالى :"واعلموا أنما غنمتم من شيئ فأن لله خمسه وللرسول" ثم فرض عليهم **الألفة** ،وهو أن يجمعوا أموالهم في موضع واحد ويشتركوا فيها جميعا فتصبح مالا مشاعا بينهم وأنهم لا حاجة لهم بالمال لأن الأرض كلها ستكون ملكا لهم ،وحثهم على شراء السلاح والعتاد وعين على كل قرية أمينا للمال موثوقا به فلما رأى إقبالهم على مذهبه أمرهم أن يجتمعوا ويختلط الرجال بالنساء في ليلة واحد وأن ذلك من تمام الألفة والمحبة بينهم وقد يجود الرجل بامرأته لأخيه متى أحب .

فلما تمكن منهم ووثق بطاعتهم شرع في إيراد حجج الثنوية عليهم في نقض الشرائع وإبطالها وأباح لهم المحرمات من دماء وأموال ورفع عنهم التكاليف من صلاة وصوم وغيرها ،و قد اجتمعوا في مكان إسمه سلمية أطلقوا عليه" دار الهجرة" وأقاموا بعدها مراكز للدعوة .[1]

الانتشار :

لقد كانت لهم طرقهم في الدعوة والانتشار تقوم على المكر والخديعة والدهاء جمعها البغدادي في قوله :"ثم إن الباطنية لهم في اصطياد الاغتام ودعوتهم إلى بدعتهم حيل على مراتب

[1]-عبد المنعم الحفني موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية - بتصرف دار الرشاد القاهرة ط السنة 1993ص320-321-322

سموها":التفرس،والتأنيس،والتشكيك،والتعليق،والربط،والتدليس،والتأسيس، والمواثيق بالإيمان ،والعهود ،وآخرها الخلع والسلخ".[1]

ويبيّن البغدادي ذلك كله في قوله":فأما التفرس فإنّهم قالوا : من شرط الداعي إلى بدعتهم أن يكون قويًا على التلبيس وعارفًا بوجوه تأويل الظواهر ؛ ليردها إلى الباطن ، ويكون مع ذلك مميزًا بين من يجوز أن يطمع فيه ، وفي إغوائه وبين منا مطمع فيه ؛ ولذا قالوا في وصاياهم للدعاة إلى بدعتهم : لا تتكلموا في بيت فيه سراج ، يعنون بالسراج من يعرف علم الكلام ووجوه النظر والمقاييس.
وقالوا أيضًا لدعاتهم : لا تطرحوا بزركم في أرض سبخة : وأردوا بذلك منع دعاتهم عن إظهار بدعتهم عند من لا تؤثر فيهم بدعتهم ؛ كما لا يؤثر البذر في الأرض السبخة شيئًا . وسموا قلوب أتباعهم الأغنام أرضًا زاكية لأنها تقبل بدعتهم[2] .

فإن آنس منه غيّا استعمل معه أسلوب **التأنيس** حيث يقول:"وإن رآه الداعي مائلا إلى أبي بكر ،وعمر (رضي الله عنهما)مدحهما عنده ،وقال لهما حظ في تأويل الشريعة ،ولهذا استصحب النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر إلى الغار ثم إلى المدينة ،وأفضى إليه في الغار تأويل شريعته."[3]

ويضيف :" ومن رآه ذا مجون وخلاعة قال له العبادة بله وحماقة نوغنما الفطنة في نيل اللذات .....وحمله على استباحة المحرمات واستروح معه إلى قول الشاعر الماجن :

أَتُركَ لذَّة الصهباء صرفاً لما وعدوه من طم و ضمر
حياةٌ ثمّ موتٌ ثم نشرٌ حديث خرافة يا أمَّ عمرو

.....و التأنيس قريب من التفرس،ومنه ينتقل به إلى التشكيك فيجعله يعتقد أن المراد بالظواهر والسنن غير مقتضاها في اللغة وهان عليه بذلك ارتكاب المحظورات ،وترك العبادات..... و**الربط** عندهم تعليق نفس المدعو بطلب تأويل أركان الشريعة فإما أن يقبل منهم تأويلها على وجه

- الفرق بين الفرق للبغدادي ص 237[1]
- الفرق بين الفرق ص 237[2]
-الفرق بين الفرق ص 239[3]

يؤول إلى رفعها وإما أن يبقى على الشك والحيرة فيها ، فإن قبلَها على الوجه الذي دفعوها إليه، وإلا بقي على الشكّ والحيرة فيها"[1] .

ثم ينتقل إلى بيان معنى التدليس فيقول :" أمّا **التدليس ..**فهو قولهم للضحية الجاهل إن الظواهر عذاب وباطنها فيه الرحمة وذكر قوله بقوله تعالى {**فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب**} [الحديد: 13]، فإذا سألهم الغرّ عن تأويل باطن الباب.....أخذوا منه **المواثيق والأيمان** المغلّظة بالطلاق والعتق وتسبيل الأموال فقد ربطوه بها .....وذكروا له من تأويل الظواهر ما يؤدي إلى رفعها ،وإذا قبلها منهم دخل في دين الزنادقة باطنا واستتر بالإسلام ظاهرا،وإن نفر الحالف عن اعتقاد تأويلات الباطنية الزنادقة كتمها عليهم لأنه حلف لهم على كتمان ما أظهروه له من أسرارهم .....وإذا قبلها منهم حلفوه وسلخوه عن دين الإسلام ،وقالوا له حينئذ :إن الظاهر كالقشر والباطن كاللب ،واللب خير من القشر "[2] وهذا هو معنى الخلع والسلخ أي يخلع ربقة الإسلام من عنقه وينسلخ من دينه ولا يخفى ما في طرقهم من الدهاء والمكر والخبث فلا ينجو من كيدهم إلا من سبقت له من الله الحسنى فعصمه الله وثبّته .

والجدير بالملاحظة أنه ربما يستغرب البعض سهولة تجنيد الأتباع وإقناعهم بهذه الأفكار المنحرفة والجواب أن أغلب من استجاب لهم كان من الدهماء والجهال من سكان البوادي المنقطعين عن العلم من الأعراب الغلاظ والجفاة أو العجم الشعوبيين الذين يجدون في أنفسهم على العرب أو من أبناء الفرس الذين زالت دولتهم ،وذهبت ريحهم ،وبعضهم كان من عبيد الشهوات والملذات .

دعاة القرامطة :وهم مصنفون وفق الترتيب الهرمي التالي :

ميمون القداح

عبد الله بن ميمون

محمد بن عبد الله حمدان بن الأشعث(قرمط)

[1] - الفرق بين الفرق ص 238- 240

[2] -الفرق بين الفرق للبغدادي ص 240

احمد بن عبد الله عبدان سعيد بن الحسين بن عبد الله بن ميمون

الحسن أبو القاسم المزعوم(انه ولد محمد بن إسماعيل بن جعفر)

إسماعيل بن الحسن

معد أبو تميم

أبو منصور نزار بن معد[1]

أهم شخصياتهم :

عبد الله بن ميمون القداح :

ويعرف بعبد الله بن ميمون بن عمرو ويقال ابن ديصان القداح الاهوازي ،وكان مشعبذا ممخرقا وكان معظم مخرقته بإظهار الزهد والورع ،وان الأرض تطوى له وكان يبعث بخواص أصحابه إلى الاطراف معهم طير ،ويأمرهم ان يكتبوا له بالاخبار عن الأباعد نثم يحدث الناس بذلك فيقوي شبههم ،كان يقول بالحلول ومن اقواله ولا يجوز لأحد ان يحجب امرأته عن إخوانه .[2]

حمدان بن الأشعث الأهوازي الملقب (قرمط): ويعود في أصله إلى خوزستان، وقد عرف في سواد الكوفة حوالي عام 258هـ، وكان يظهر الزهد والتقشف في أول عهده، فاستمال إليه بعض الناس، وقد لقب بـ(قرمط) لقصر كان فيه، إذ كان قصير القامة ورجلاه قصيرتان بشكل يلفت الانتباه، فكان خطوه قصيرا، الأمر الذي جعله ناقما على المجتمع يبدي التأفف والتضجر ويحقد على الناس جميعا ويظهر التذمر من كل المجتمعات التي تحيط به أو التي ينتقل إليها ويضمر البغض على كل وضع.. وقد التقى مرة بأحد دعاة التشيع وهو (حسين الأهوازي) الذي كان يتجول في سبيل دعوته، فاجتمع به وهو في طريقه من السلمية في بلاد الشام إلى سواد الكوفة، وذلك حوالي عام 265هـ، ولم يلبث أن أصبح

[1] -موسوعة الفرق والمذاهب والجماعات الاسلامية ص 323
[2] -القرامطة لابن الجوزي ص 71

(قرمط) من أتباع حسين، إذ كان حسين بدعوته ينتقد العباسيين ويتذمر من وضعهم، فلقي هذا مكانا في قلب (حمدان)، وعندما مات (حسين) أصبح (حمدان) القائم بالأمر مكانه، بناء على عهد منه، حيث ترقى (قرمط) في درجات الدعوة الإسماعيلية بسرعة فائقة نتيجة جده ونشاطه[1].

أبو طاهر القرمطي:

سليمان بن سعيد الجنابي ويعد مؤسس دولة القرامطة الذي فتك بالحُجَّاج وهاجم مكة سنة 319هـ، وهدم زمزم وقلع باب البيت العتيق واقتلع الحجر الأسود وأخذه إلى الأحساء وبقي هناك حتى عام 339هـ..بقيت دولتهم من عام 277هـ/890م وحتى 470هـ/1078م، وسيطرت على جنوب الجزيرة العربية واليمن وعمان، ودخلت دمشق، ووصلت حمص والسلمية..»[2]

ترجم له الذهبي في السير فوصفه :" عدو الله ملك البحرين أبو طاهر الذي سار إلى ، سليمان بن حسن ، القرمطي الجنابي الأعرابي الزنديق مكة في سبعمائة فارس ، فاستباح الحجيج كلهم في الحرم ، واقتلع الحجر الأسود ، وردم زمزم بالقتلى ، وصعد على عتبة الكعبة ، يصيح:

أنا بالله وبالله أنا يخلق الخلق وأفنيهم أنا

فقتل في سكك مكة وما حولها زهاء ثلاثين ألفا ، وسبى الذرية ، وأقام بالحرم ستة أيام بذل السيف في سابع ذي الحجة ، ولم يعرف أحد تلك السنة فلله الأمر . وقتل أمير مكة ابن محارب، وعرى البيت ، وأخذ بابه ، ورجع إلى بلاد هج، وقيل : دخل قرمطي سكران على فرس ، فصفر له ، فبال عند البيت ، وضرب الحجر بدبوس هشمه ثم اقتلعه ، وأقاموا بمكة أحد عشر يوما ، وبقي الحجر الأسود عندهم نيفا وعشرين سنة."[3]

[1] -الفرق بين الفرق للبغدادي ص 290
-أطلس الفرق ص274- 275[2]
-الإمام الذهبي سير أعلام النبلاء ج15- مؤسسة الرسالة 2001 ص 321[3]

وقد كان هذا الملحد يعتبر المسلمين كفارا على مذهبه هو ويستبيح دماءهم وأعراضهم ويتأول قوله تعالى :"اقتلوا المشركين حيث ثقفتموهم " يعني بذلك المسلمين لانه كان يرى الطواف على الكعبة وتعظيم شعائر الله ومنها الحجر الأسود من عمل الوثنيين .

وقد نقل عنه الذهبي خطبته في الناس" : إن الدين قد ظهر وهو دين أبينا آدم ، وجميع ما أوصلت إليكم الدعاة باطل من ذكر موسى وعيسى ومحمد ، هؤلاء دجالون ، وهذا الغلام هو أبو الفضل المجوسي ، شرع لهم اللواط ، ووطء الأخت ، وأمر بقتل من امتنع"[1].

وهذه دعوة صريحة إلى الانفكاك من الدين والانغماس في الإباحية والفكرة المجوسية المزكية واضحة وجلية حيث أن الغلام المجوسي أبو الفضل الذي قدمه لهم أبو طاهر هو الداعي إلى الإباحية ،واستباحة الأخوات والأمهات .

معتقدات القرامطة :

حاول رؤوس هذه الحركة أن يختصوا بوضع أصول خاصة بهم انفردوا بها عن بقية الفرق المنتسبة إلى الإسلام وقد كان لهم رأيهم في الإلهيات والنبوات والإمامة والمعاد بما خالفوا فيه جمهور المسلمين من فقهاء وأهل حديث وفلاسفة ومتكلمين ويوضح الإمام الغزالي مذهب الطائفة في قوله :

"مما تطابق عليه نقلة المقالات قاطبة أن هذه الدعوة لم يفتتحها منتسب إلى ملة، ولا معتقد لنحله معتضد بنبوة، فإن مساقها ينقاد إلى الانسلال من الدين كانسلال الشعرة من العجين، ولكن تشاور جماعة من المجوس والمزدكية، وشرذمة من الثنوية الملحدين، وطائفة كبيرة من ملحدة الفلاسفة المتقدمين، ضربوا سهام الرأي في استنباط تدبير يخفف عنه ما نابهم من استيلاء أهل الدين، وينفس عنهم كربة ما دهاهم من أمر المسلمين، حتى أخرسوا ألسنتهم عن النطق بما هو معتقدهم، من إنكار الصانع وتكذيب الرسل، وجحد الحشر والنشر، والمعاد إلى الله في آخر الأمور، وزعموا أنا بعد أن عرفنا

[1] المصدر نفسه ج/15 ص 324

الأنبياء كلهم مخرقون منمسون ."[1] والإمام الغزالي كما هو واضح يصنفهم من جملة الزنادقة ، وأهل الإلحاد.

معتقداتهم في الإلهيات :

يبين الإمام ابن الجوزي عقيدتهم حيث يقول:"وقد ثبت عنهم أنهم يقولون بإلهين قديمين لا أول لوجودهما من حيث الزمان إلا أن أحدهما علة لوجود الثاني ،واسم العلة :السابق واسم المعلول :التالي ،وان السابق خلق العالم بواسطة التالي لا بنفسه ،وقد يسمون الأول عقلا والثاني نفسا والأول تاما والثاني ناقصا ،والأول لا يوصف بوجود ولا عدم ،ولا موصوف ولا غير موصوف، فهم يومئون إلى النفي لأنهم لو قالوا معدوم ما قبل منهم ،وقد سموا هذا النفي تنزيها "[2]

معتقدهم في النبوات :

ويذكر ابن الجوزي أن:" معتقدهم في النبوات قريب من مذهب الفلاسفة وهو أن النبي عبارة عن شخص فاضت عليه من السابق بقوة التالي قوة قدسية صافية ،وأن جبريل عبارة عن العقل الفائض لا أنه شخص وأن القرآن هو تعبير محمد عن المعارف التي فاضت عليه من العقل فسمي: كلام الله مجازا لأنه مركب من جهته وهذه القوة الفائضة على النبي لا تفيض عليه في أول أمره، وإنما تتربى كنطفة [3]"

وحقيقة معتقدهم أنهم منكرون للنبوة بالمعنى المتعارف عليه شرعا واصطلاحا والا فهم لا يصرحون ويجرون على عادة مذهبهم الباطني .

معتقدهم في الإمامة :

زعموا " أنه لا يكون بعد محمد صلى الله عليه واله وسلم إلا سبعة أئمة :علي بن أبي طالب وهو إمام رسول ،والحسن والحسين ،وعلي بن الحسين ومحمد بن علي،وجعفر بن محمد ،ومحمد بن إسماعيل بن جعفر وهو الإمام القائم المهدي ،وهو رسول وزعموا ان النبي صلى الله عليه

[1] -الإمام أبو حامد الغزالي فضائح الباطنية ص 26
[2] -الإمام عبد الرحمن ابن الجوزي القرامطة المكتب الاسلامي طبعة5 بيروت1981 ص 58
[3] - القرامطة لابن الجوزي ص 60

وسلم انقطعت عنه الرسالة في حياته في اليوم الذي أمر فيه بنصب علي بن أبي طالب عليه السلام للناس بغدير خمّ فصارت الرسالة في ذلك اليوم الى أمير المؤمنين وفيه ،واعتلوا في ذلك بخبر تأولوه ،وهو قول رسول الله صلى الله عليه واله :من كنت مولاه فعلي مولاه ،وأن هذا القول منه خروج من الرسالة والنبوة وتسليم منه لعلي بن آبي طالب بأمر الله عز وجل وان النبي صلى الله عليه واله صار مأموما لعلي بن أبي طالب محجوجا به ،فلما مضى علي عليه السلام صارت الإمامة في الحسن ثم صارت من الحسن إلى الحسين ،ثم صارت في علي بن الحسين ،ثم في محمد بن علي،ثم كانت في جعفر بن محمد ثم انقطعت عن جعفر في حياته فصارت في إسماعيل بن جعفر كما انقطعت الرسالة عن محمد صلى الله عليه واله في حياته.ثم إن الله بدا له في إمامة جعفر و إسماعيل فصيرها في محمد بن إسماعيل ،واعتلوا في ذلك بخبر رووه عن جعفر بن محمد انه قال :"ما رأيت مثل بداء بدا لله في إسماعيل" وزعموا أن محمد بن إسماعيل حي لم يمت وأنه غائب مستتر في بلاد الروم وأنه القائم المهدي"[1]

"واتفقوا انه لابد لكل عصر من إمام معصوم ،قائم بالحق يرجع إليه في تأويل الظواهر و حل الإشكال في القرآن والأخبار وأنه يساوي النبي في العصمة .....ولا بد للإمام من اثني عشر حجة منهم أربعة لا يفارقونه "[2]

هذا مع اختلافهم في تعيين الإمام القائم أو ما يصطلح عليه بالمهدي المنتظر الذي يملأ الأرض قسطا وعدلا .

معتقدهم في القيامة والمعاد :

هم منكرون للجنة والنار والمعاد ويتأولونها بتأويلات فاسدة لا مستند لها من عقل ولا نقل بل هي أقرب إلى الهذيان منها إلى العلم والتأويل فالجنة

[1] -الحسن بن موسى النوبختي-سعد بن عبد الله القمي -دار الرشاد الطبعة - 1القاهرة1992 ص81- 82
[2] -القرامطة لابن الجوزي ص 60

عندهم هي استحلال المحارم ورفع التكاليف والنار هي التقيد بالأحكام الظاهرة من عبادات وتكاليف [1]

وسبق قول شاعرهم في إنكار البعث والنشور والحساب في قوله :

حياةٌ ثمّ موتٌ ثم نشرٌ حديث خرافة يا أمَّ عمرو

نماذج من التأويل عندهم :

يبين الغزالي في كتابه فضائح الباطنية سبب جنوحهم إلى التأويل فيقول :"والقول الوجيز فيهم أنهم لما عجزوا عن صرف الخلق عن القرآن والسنة ،صرفوهم عن المراد منهما إلى مخارق زخرفوها واستفادوا بما انتزعوه من نفوسهم من مقتضى الألفاظ إبطال معاني الشرع ،وبما زخرفوه من التأويلات تنفيذ انقيادهم إلى المبايعة والموالاة ،وأنهم لو صرحوا بالنفي المحض ،والتكذيب المجرد ،لم يحظوا بموالاة الموالين ،وكانوا أول المقصودين المقتولين ."[2]

تأويلاتهم للظواهر:

يذكر الغزالي بعض تأوّلاتهم الفاسدة التي لا يشهد لها عقل ولا نقل بل هي محض تخرصات فيقول :"فمعنى **الجنابة** عندهم مبادرة المستجيب بإفشاء سر إليه قبل أن ينال قبل أن ينال رتبة استحقاقه ،ومعنى **الغسل** تجديد العهد على فعل ذلك ،**ومجامعة البهيمة** معناها معالجة من لا عهد عليه ،ولم يؤد شيئا من صدقة النجوى ،وهي مائة وتسعة عشر درهما عندهم ،فلذلك أوجب الشرع القتل على الفاعل والمفعول به ،وإلا فالبهيمة متى وجب القتل عليها ،**والزنى** هو إلقاء نطفة العلم الباطن في نفس من لم يسبق معه عقد العهد ،**والاحتلام** هو أن يسبق لسانه إلى إفشاء السر في غير محله فعليه الغسل أي تجديد المعاهدة .....**والصيام** هو الإمساك عن كشف

[1] - موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية ص 323
[2] - فضائح الباطنية للغزالي ص 59

السر ....والأغلال هي التكاليف التي فرضت على الجهّال فإذا عرفوا أسرار الباطن ارتفع عنهم العذاب [1]

وقصدهم بالعذاب أنهم الحرمان من التلذذ بالمحرمات كنكاح الأخت وشرب الخمر واللواط وغيرها من الآثام ،وانتهاك حرمة رمضان .

تأويلاتهم لمعجزات الأنبياء :

يذكر الغزالي بعض بعض تخرّصاتهم وأباطيلهم الذي هو أشبه بالهذيان :

"**عصا موسى** حجته التي تلقفت ما كانوا يأفكون من الشبه وانفلاق البحر افتراق علم موسى فيها على أقسام .....**والجراد والضفادع والقمل** هي سؤالات موسى وإلزاماته التي سلطت عليهم ،**والمن والسلوى** علم نزل من السماء لداعي من الدعاة هو المراد بالسلوى ."[2]

ولا يخفى ما في تأولاتهم من الكذب على الله والافتراء عليه و ازدراء بالأنبياء ،وإبطال كل ما وردت به النصوص المحكمة والصحيحة من إثبات النبوات والمعجزات وفي تأويلاتهم صرف للعامة عما جاءت به الأنبياء والرسل إلى معاني باطلة اخترعوها .

المبحث الثالث : الإسماعيلية العبيدية النشأة والتطور وأهم الشخصيات

الإسماعيلية الفاطمية أو العبيدية :

وتسمى العبيدية أيضا نسبة إلى مؤسسها عبيد الله الشيعي واسمه الكامل عبيد الله بن الحسين بن عبد الله بن ميمون القداح وهو أحد أحفاد ميمون

[1] --المصدر نفسه ص 60

[2] -فضائح الباطنية ص 61

القداح ،أما ادعاؤهم النسب الفاطمي ففيه مقال بين العلماء والمؤرخين ،وقد نقل المقريزي عن الأمير المعز بن باديس صاحب كتاب تاريخ إفريقية والغرب قوله :" هذا ما شهد به الشهود، أن معدّ بن إسماعيل المستولي على مصر، هو معد بن إسماعيل عبد الرحمن بن سعيد ، وأنهم منتسبون إلى ديصان ابن سعد الدين ، ينتسب إليه الديصانية ، وأن سعيدا المذكور صار إلى المغرب ويسمى عبيد الله ويلقب المهدي ، وأن هذا الناجم الحاكم بمصر هو منصور ، الملقب بالحاكم - حكم الله عليه بالبوار والدمار - ابن نزار بن معد ابن إسماعيل بن عبد الرحمن بن سعيد ، وأن من تقدمه من سلفه الأرجاس الأنجاس - عليهم لعنة الله ولعنة اللاعنين أدعياء خوارج لا نسب لهم في ولد علي بن أبي طالب - رضوان الله عليه - ولا يتعلقون منه بنسب ، وأن ما ادعوه من الانتساب إليه باطل وزور ، لم يتوقف أحد من أهل بيوتات الظالمين من إطلاق القول في هؤلاء ، لأنهم خوارج أدعياء وأن هذا الإنكار لباطلهم كان سابقا بالحرمين ، وفي أول أمرهم بالمغرب انتشر انتشارا عظيما ، وأن هذا الناجم بمصر هو وسلفه كفار وفسّاق وزنادقة ملحدون معطلون ، وللإسلام حاجزون، ولمذهب الثنوية والمجوسية معتقدون ، عطّلوا الحدود وأباحوا الفروج ، وأحلوا الخمور ، وسفكوا الدماء ، وسبّوا الأنبياء ، وادّعوا الربوبية "[1]

إلا أنه تعقّبه بتعليق لابن خلدون يشكك فيه برواية المعز بن باديس .

ويعتبر أبو عبد الله الشيعي الممهد والمؤسس الحقيقي للدولة الفاطمية وهو رجل من صنعاء اتجه إلى المغرب بعد أن رأى دويلات "الأغالبة" و"الأدارسة" وغيرهما تنشأ وتقام بعيدًا عن يد الدولة العباسية وسلطانها، وركز "أبو عبد الله" دعايته بين البربر، وسرعان ما انضموا إليه في آلاف عديدة، فأرسل إلى زعيمه الفاطمي الكبير "عبيد الله بن محمد وهو بمثابة أبو مسلم الخراساني رجل الخلافة العباسية بلا منازع وقد تأسست بعد أن

1- تقي الدين المقريزي اتعاظ الحنفا باخبار الأئمّة الفاطميين الخلفا ج/2 –تح جمال الدين شيال -الناشر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ط 22القاهرة 1996ص 44

خرج عبيد الله المهدي من مقره في" سلمية "من أرض حمص ببلاد الشام في سنة (292 هـ = 905م)، وفرّ إلى المغرب مرورا بالإسكندرية ، ليصل إلى" سجلماسة1 "متخفيا في زي التجار، ولمّا بلغ المعتضد خبر وصوله أوعز إلى الأغالبة لملاحقتهما فاعتقلهما اليسع بن المدرار وأودعهما السجن قبل أن يدركهم أبو عبد الله الشيعي ويفك أسرهما [2]

ويذكر المؤرخون أن أبا عبد الله الشيعي حين أبصر عبيد الله المهدي ترجّل وقابله بكل احترام وإجلال، وقال لمن معه:" هذا مولاي ومولاكم قد أنجز الله وعده وأعطاه حقّه وأظهر أمره".

وأقام أبو عبد الله الشيعي وعبيد الله المهدي في سجلماسة أربعين يوما، ثم رحلوا عائدين فدخلوا رقادة في يوم الخميس الموافق (20 من شهر ربيع الآخر 297هـ= 7 من يناير 910م)وقامت الخلافة الفاطمية في شمال إفريقيا .[3]

دخل عبيد الله القيروان التي اتخذها عاصمة للدولة الفاطمية، وهناك بايعه الناس ولقب "المهدي أمير المؤمنين"، وصار خليفة للمسلمين تأكيدًا لفكرة الشيعة عن أحقية أبناء علي -رضي الله عنه- بالخلافة، ولقد اعتبر نفسه المهدي المنتظر الذي سيملأ الأرض عدلا بعد أن مُلئت جورًا وظلمًا. ولما استقر له الملك ،شرع في مباشرة أمور الحكم بنفسه وكف يد أبو عبد الله وأخاه أبو العباس الذي كان صاحب أمر ونهي فوجد في نفسه على المهدي وأخذ يحرض عليه أخاه ويدعوه إلى الانقلاب عليه حتى أثر فيه

[1] -مدينة تاريخية تقع جنوب الأطلس الكبير وهي ضمن حدود المملكة المغربية وكانت ثاني مدينة بعد القيروان

1-تقي الدين المقريزي اتعاظ الحنفا باخبار الأئمّة الفاطميين الخلفا ج/2 –تح جمال الدين شيال -الناشر المجلس الاعلى للشؤون الإسلامية ط22 القاهرة 1996 ص45

[3] - د.محمد جمال الدين سرور تاريخ الدولة الفاطمية ص26 دار الفكر العربي القاهرة د.ت

،وتغيرت عليه القلوب حتى واجهه أحدهم "إن كنت أنت المهدي فأظهر لنا أية فقد شككنا فيك "فدبر له المهدي مكيدة وفرق الجمع عنه وقتله في جماعة له وصلى وترحم عليه فقال رحمك الله أبا عبد الله وجزاك خيرا بجميل سعيك"[1].

وتوالى الخلفاء من نسل المهدي عبيد الله، وكان منهم "المعز لدين الله الفاطمي" الذي أرسل قائده الشهير "جوهر الصقلي" ففتح "دولة الأدارسة"، ووصل إلى المحيط الأطلسي، ثم مد حدوده إلى مصر وفتحها عام 359هـ/ 969م.

وهكذا تحولت مصر عن الخلافة العباسية، وأصبحت ولاية فاطمية عام 359/ 969م.

بناء القاهرة:

يذكر المقريزي سبب تسمية القاهرة وهو أن المعز لدين الله الفاطمي هو أول من سماها بالقاهرة وقد كانت تسمى الفسطاط حيث يقول :"ويقال إن جوهر لما بنى القصور وأدار عليها السور سماها "المنصورية " فلما قدم المعز لدين الله إلى الديار المصرية سماها القاهرة".[2]

ويصف أمين غالب طويل التغييرات التي أحدثها جوهر الصقلي بعد دخوله القاهرة وبسط نفوذه عليها فيقول :

"دخل جوهر الصقلي ظافرا إلى مصر ومكث فيها عاملا باسم المعز لدين الله ولم ينتقل إليها المعز إلا بعد أربع سنوات وعشرين يوما ،وبعد تمكنه منع جوهر ذكر اسم العباسيين ،ومنع الخطباء من لبس السواد ،وألبسهم البياض في الخطب وأمر بذكر المعز الفاطمي وأضاف على الدعاء في الخطبة هذا القول :اللهم صل على محمد المصطفى وعلى علي المرتضى وعلى فاطمة البتول وعلى الحسن والحسين سبطي الرسول الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا اللهم صل على الأئمة الطاهرين أباء أمير

[1] -اتعاظ الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الحنفا ص 67

[2] -اتعاظ الحنفا باخبار الأئمة الحنفا ص 111

المؤمنين وزاد في الأذان كلمة حي على خير العمل وهكذا فعل البويهيون في أصفهان أيضا "[1] .

الاستيلاء على الحجاز:

وما لبثت جيوش المعز أن سارت نحو الحجاز ففتحته، وأصبحت المدينتان: مكة والمدينة تحت سلطان الفاطميين لا العباسيين، كما فتحت جيوشهم بلاد الشام، وفلسطين، وجزيرة صقلية. وهكذا أصبحت دولة الفاطميين تضم الحجاز، والشام، وفلسطين، ومصر، وشمال إفريقية حتى المحيط الأطلسي.

بناء الجامع الأزهر:

ومن أعمال الدولة الفاطمية: إنشاؤها "الجامع الأزهر" سنة 361ه الموافق ل772م وقد تم بناؤه في عامين الذي كان أول أمره مسجدًا عاديا والغرض من بنائه أول الأمر ليكون خصيصا للشيعة حتى لايفاجئ السنة بطقوس الشيعة الجديدة ويثير حفيضة السنّين وقد كان يصلي فيه الخلفاء الفاطميين ويقيمون فيه احتفالاتهم . [2]

أهم الشخصيات العبيدية :

عبيد الله المهدي :

يعتبر**عبيد الله بن الحسين المهدي** مؤسسَ الدولة الفاطمية ، أول الخلفاء الفاطميين في الإسلامِ، وقد شملت دولته معظم أنحاء شمال أفريقيا .

يعتبر مؤسس الدولة الفاطمية والإمام الحادي عشر للشيعة الإسماعيلية المشهور أنه عبيد الله بن الحسين الزكي عبد الله والمتفق عليه عند الشيعة الإسماعيلية وأيضا أيده المقريزي وابن خلدون[3] وبناء على هذا يرجع نسبه إلى فاطمة الزهراء، بنت نبي الإسلام، محمد،من خلال الحسين بن علي .

- محمد أمين غالب الطويل تاريخ العلويين ص211 اللاذقية مطبعة الترقي 1924[1]
- تاريخ الدولة الفاطمية ص68- 69[2]
-اتعاظ الحنفا للمقريزي ص 44[3]

وقال بعض أهل السير أن نسبه من فاطمة لا يصح بل هو دعي وأن أباه كان يهوديا وسماه سعيدا فلما توفي تزوجت أمّه من رجل يدعى الحسين بن عبد الله بن ميمون بن عبدالله القداح وهو ديصاني ثانوي ،وقد ادعى سعيد النسب العلوي وتكنى بعيد الله المهدي وتبعه أقوام وصارت له دولة في المغرب قال الحافظ بن كثير:" كانت مدة ملك الفاطميين مئتين وثمانين سنة ،وكسراً ، فصاروا كأمس الذاهب { كأن لم يغنوا فيها}وكان أول ملك منهم المهدي ، وكان من سليمة ، حداداً اسمه عبيد ، وكان يهودياً ، فدخل بلاد المغرب ، وتسمى بعُبيد الله ، وادّعى أنه شريف علوي فاطمي ، وقال عن
نفسه إنه المهدي ، كما ذكر ذلك غير واحد من العلماء والأئمة ، بعد الأربعمئة."[1]

استطاع أن يتخلص من جميع خصومهم بما فيهم أبو عبد الله الشيعي أقرب المقربين إليه ،بعدما شك في إمامته وقيل لأنه طمع في ملكه ، وقد استمرت دولته خمسا وعشرين سنة وأشهر هلك سنة 322ه وله اثنتان وستون سنة [2]

القائم بأمر الله أبو القاسم نزار بن عبيد الله :

" هو أبو القاسم محمد بن المهدي بن عبيد الله ولد في سلمية سنة ثمان وسبعين ومائتين،بويع له بخلافة الروافض في سنة اثنين وعشرين وثلاثمائة فكان مهيبا شجاعا قليل الخير فاسد العقيدة،خرج عليه الخارجي يزيد بن كيداد البربري الخارجي بعدما أظهر سب الأنبياء أباد العلماء ،ويأمر بإحراق المساجد والمصاحف ويطعن في الصحابة علنا حتى قال فيه القائل :

الماكر الغادر الغاوي لشيعته شر الزنادقة من صحب وتبّاع

العابدين إذا عجلا يخاطبهم بسحر هاروت من كفر وإبداع

لو قيل للروم أنتم مثلهم لبكوا أو لليهود لسدّوا صمخ أسماع"[3]

المعز لدين الله الفاطمي :

- ابن كثير البداية والنهاية دار ابن كثير-ط2 السنة 2010 دمشق بيروت ج/14ص 113[1]
-د-علي محمد الصلابي صفحات مشرقة من التاريخ الاسلامي-مؤسسة إقرأ طبعة1(2007)-ج/2 ص 44[2]
-صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامي ج/2 ص 59[3]

"هو معد بن إسماعيل المنصور وكنيته أبو تميم ولد بالمهدية في 11 رمضان سنة 319 وعهد له بالخلافة بعده وجلس على سرير الملك من ذي الحجة سنة 341ه وهو رابع الخلفاء العبيديين كان أعظم الخلفاء الفاطميين وقد امتد ملكه الى صقلية وطمع في الأندلس وهو من فتح مصر بقيادة قائده جوهر الصقلي ،واستقر بها قيل انه ادعى الألوهية »[1] وهو من قال فيه الشاعر ابن هانئ الأندلسي:

« فاحكُمْ فأنتَ الواحد القهّارُ	ما شئتَ لا ما شاءتِ الأقدارُ
وكأنّما أنصارك الأنصار	و كأنّما أنتَ النبيُّ محمّدٌ
في كُتْبِها الأحبارُ والأخبارُ	أنتَ الذي كانتْ تُبشِّرنَا بهِ

وقد ذكر الدكتور الصلابي أن المعز وأجداده كانوا يسمعون مثل هذه الكفريات ولا ينكرونها ويقرونهم عليها وقد تأسف المعز لمقتل ابن هانئ الأندلسي وقال فيه "كنا نرجو أن نفاخر به شعراء المشرق »[2]

وقد وصف ابن كثير فترة الخلافة الفاطمية بقوله :

"كان الفاطميون أغنى الخلفاء ، وأكثرهم مالاً ، وكانوا من أعتى الخلفاء ،
وأجبرهم ، وأظلمهم ، وأنجس الملوك سيرةً ، وأخبثهم سريرةً ، ظهرت في دولتهم البدع والمنكرات ، وكثر أهل الفساد ، وقلّ عندهم الصالحون من العلماء ، والعبّاد ، وكثر بأرض الشام النصرانية ، والدرزية ، والحشيشية ، وتغلّب الفرنجُ على سواحل الشام بأكمله ... وقتلوا من المسلمين خَلقاً ، وأمماً لا يحصيهم إلا الله وسبوا ذراري المسلمين من النساء والولدان ، مما لا يحد ، ولا يوصف ، وأخذوا من أموال المسلمين ما لا يُحدُّ ، ولا يوصف"[3]

ويدل هذا الوصف من ابن كثير على أن فترة العبيديين ماهي إلا امتداد لفرقة القرامطة ،إلا أن الفاطميين كانوا يتوددون إلى الرعية ولم يكونوا بنفس السطوة والعنف الذي عرف به القرامطة، ومع ذلك فدعوتهم واحدة ،وما حدث بينهم من خلاف وصراع كان لأسباب سياسية تتعلق

[1] - صفحات مشرقة من التاريخ الإسلام ج/2 ص 61
[2] -المصدر نفسه ج/2 ص62- 63
[3] - البداية والنهاية لابن كثير ج/14 ص 214

بالسيطرة على مراكز النفوذ وإلا فهم متفقون في الأصول العقائدية أو في أغلبها.

الفصل الثاني:

الأصول والجذور الفلسفية للحركات الباطنية

ـ المبحث الأول:ـ الجذور الأفلاطونية

أـ الإلـهيات

بـ نظرية المثل والممثول

المبحث الثاني: الأصول الفارسية واليهودية والمسيحية

أـ التناسخ

بـ الإباحية

توطئة:

إن النزعة الباطنية لم تكن أمرا مبتدعا في الوسط الفكري والفلسفي الإسلامي بل هي امتداد لنزعة الغنوص[1](**gnosis**) الضاربة في أعماق التاريخ منذ زمن اليونان وقد تبلورت في القرن الثاني، والثالث الميلاديين على يد أفلوطين [2]، ولذلك فقد كتب لهذه النزعة الاستمرارية بحيث امتزجت بجميع الثقافات والفلسفات وصارت جزءا منها ، فكان للهنود والهندوس، والفرس واليهود نصيبهم ، وظهر ما يسمى بالغنّوص الإسلامي الذي تجلى في كتاب الجفر[3] عند الرافضة الشيعة ، والتفاسير الرمزية عند غلاة الصوفية ،وبشكل أظهر في رسائل إخوان الصفا الذين يصفهم الدكتور عبد المنعم الحفني في قوله :" جماعة من الفلاسفة الشعبيين ،جمع بينهم الود والوفاء كما يفهم من إسمهم إخوان الصفا وخلان الوفا ،ودوّنوا إحدى وخمسين رسالة في الفلسفة بعنوان" رسائل إخوان الصفا " كانت موسوعة فلسفية شملت الرياضيات والمنطق والطبيعيات والنفس والأخلاق والدين ،ينشرون بها اراءهم ويبدو فيها تأثرهم بالأفلاطونية المحدثة والفيثاغورية والغنوصية،ويبغون منها أن تكون محاولة لتشكيل نظرة شاملة أودين عالمي يتجاوز كل الأديان،ويصل الإنسان بالحقيقة الكلية،وفسلفتهم باطنية ،وهناك من الدلائل ما يثبت أنهم من الشيعة،وأنهم ارتبطوا بطائفة الإسماعيلية ولعل هذا هو سبب تغلغل الفلسفة الإغريقية في الأفكار الإسماعيلية "[4].

المبحث الأول: الأصول والجذور الأفلاطونية :

1-لفظة يونانية الاصل معناها العرفان وهو العلم باسرار الحقائق الدينية وهو أرقى من العلم الذي يحصل لعامة المؤمنين أو لأهل الظاهر من رجال الدين .

-فيلسوف مثالي ولد ولد بمصر عام 205م وعاش في روما توفي عام 270م[2]

3-الجفر في الاصل ولد الشاة اذا عظم واستكرش ويطلق على الإهاب نفسه وقال بعض الشيعة المحدثين أنه علم الحروف الذي تعرف به الحوادث الى انقضاء الدهر انظر تاريخ المذاهب الاسلامية الشيخ ابو زهرة ص 647

- موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية د.عبد المنعم الحفني ص22 [4]

توطئة :

لقد اقتبس الإسماعيلية الكثير من الأفكار والمعتقدات التي مردها إلى الفلسفة اليونانية ولأفلاطون النصيب الأوفر من هذا الاقتباس وإن حاولت الإسماعيلية أن تضفي عليه الطابع الاسلامي بما امتلكته من رصيد ثقافي وفلسفي من الوسط والبيئة الإسلامية فكان من ذلك نظرية الإبداع أو الفيض في تفسير أصل الخلق وبيان مفهوم التوحيد لديهم ،و المثل والممثول التي صدع بها أفلاطون منذ مئات السنين حيث يدعم الشهرستاني هذا الطرح مشيرا إلى تأثر الإسماعيلية الباطنية بالفلسفة في قوله : " إن الإسماعيلية الباطنية القديمة قد خلطوا كلامه ببعض كلام الفلاسفة ، وصنفوا كتبهم على هذا المنهاج ، فقالوا في الباري تعالى : انا لا نقول هو موجود ، ولا لا موجود ، ولا عالم ، ولا جاهل ، ولا قادر ، ولا عاجز ، وكذلك في جميع الصفات " [1]

وفي نفس الاتجاه يذهب الدكتور إبراهيم مدكور، حيث يقول : " لا شك في أن الإسماعيلية من أكثر الشيعة درسا وبحثا ، شاءوا أن يفلسفوا تعاليمهم ، ففلسفوا معها العقيدة الإسلامية كلها ، وأدخلوا عليها كلّ ما وقفوا عليه من أفكار أجنبية ، بين شرقية وغربية ، وبخاصة الأفلاطونية المحدثة "[2]

وغرضه أنهم أخضعوا العقيدة التي تستند إلى الوحي إلى عصارة عقول الفلاسفة ،فصارت الفلسفة حاكمة والشرع محكوما فإذا ظهر التعارض أوّلوا الشّرع بما يتناسب مع الفلسفة .

وفي نفس السياق يقول أحمد أمين متحدثا عن أصول القوم :" وهؤلاء لعبوا دورا طويلا في تاريخ الإسلام ،وأخذوا مذهب الأفلاطونية الحديثة .... ،واستخدموا ما نقله إخوان الصفا في رسائلهم من هذا المذهب الأفلاطوني "[3]

---

[1] -الملل والنحل للشهرستاني ص202- 203

[2] -إبراهيم مدكور في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيق ج2 –دار المعارف القاهرة -2003-ص 65

[3] -فجر الاسلام أحمد امين دار الكتاب العربي ط2 بيروت 1969 ص 272

وفي نفس الاتجاه يقول ابن تيمية :"وهذا بعينه صار في هؤلاء المنتسبين إلى التشيع فإن هؤلاء الإسماعيلية أخذوا من مذاهب الفرس وقولهم بالأصلين النور والظلمة وغير ذلك أمورا وأخذوا من مذاهب الروم من النصرانية وما كانوا عليه قبل النصرانية من مذهب اليونان وقولهم بالنفس والعقل وغير ذلك أمورا ومزجوا هذا بهذا وسموا ذلك باصطلاحهم السابق والتالي وجعلوه هو القلم واللوح وأن القلم هو العقل."[1]

مذهبهم في الإلهيات والخلق :

وللإسماعيلية مذهبهم في الإلهيات وفي نشأة الكون وتطوره ، وخلق الإنسان ،حيث خالفوا فيها الفلاسفة ولم يوافقوا رؤية الإسلام وما ورد في نصوص الكتاب والسنة من الأخبار المتواترة فابتكروا نظرية الإبداع أو الصدور كما يسمونها أحيانا وهي قريبة من نظرية الفيض الأفلوطينية[2] الحديثة التي جاءت لتوفق بين مذهب الفلاسفة القائلين بقدم العالم وبين العقيدة الإسلامية الصرفة .

وتتلخص نظرية الإبداع عند الإسماعيلية الباطنية في أن وجود الموجودات عن الله تعالى يتم عن طريق الإبداع فيبتدئ انطلاقا من العقل الأول ، وهو العقل الشامل أو العقل الكلي ، ولم يقف الانبعاث إلا بعد أن وجد عن العقل الأول ، والمنبعث الأول عقول سبعة وجد كل منها عن الآخر صاعدا إلى المنبعث الأول ، وأصبح كل منها ساطعا ساريا فيما وجد عن الأول من الهيولي ، والصورة التي منها وجود السموات والأرض وحركتها ، والطبائع ومواليدها ... حتى توقف عند إنهائه إلى العاشر من العقول، فبواسطة الأصلين السابق والتالي ، أو العقل والنفس ، وجدت المخلوقات كلها العلوية الروحانية والسفلية الجسمانية.[3]

يقول الداعي شهاب الدين أبو فراس في باب التوحيد:" اعلم أيها الأخ البار الرحيم الرشيد، بأن التوحيد هو صفة الموحَّد المجيد، وهو درجة العقل الفعال، وأحد الحقيقة، والمبدَع الأول، وينبوع الوجود، ومصدر العدد، فمنه

---

[1] -ابن تيمية منهاج السنة النبوية تحقيق د.محمد رشاد سالم مؤسسة قرطبة 1406ه ص 15

[2] -فيض الكائنات على مراتب متدرجة من مبدا الوجود وقال بها الفارابي وابن سينا انظر المعجم الفلسفي ص 172

[3] - د.مصطفى غالب مفاتيح المعرفة مؤسسة عز الدين 1982بيروت لبنان ص 56

إشراق أنوار الكلمة العلية، ومبتدأ الوجود، وابتداع المنزه المعبود، والواحد الفرد الصمد، الذي من جوهرة وجدت الموجودات، فلزمتها صفة الأعداد والأزواج والأفراد، وإليه عودتها حين المعاد .....والموجود الأول والمبدع الأكمل والعقل المفضّل والسابق التام" إلى غاية قوله :"ويأتي بعده التّالي الثاني ويسمّى النّفس الكلية "[1].

وهذا شبيه بمذهب أرسطوطاليس الفيلسوف اليوناني المعروف عندما يتكلم عن أصل الخلق فيقول :"والعلة الأولى ليست بعقل ولا نفس ولا طبيعة،بل هي فوق العقل والنفس والطبيعة،لأنها مبدعة لجميع الخلق ،إلا أنها مبدعة الخلق بلا توسط ومبدعة النّفس والطبيعة وسائر الأشياء بتوسط العقل .والعلم الإلهي ليس كالعلم العقلي ولا كعلم النفس بل هو فوق علم العقل وعلم النفس،لأنه مبدع العلوم "[2].وغرضه أن الله الذي يسمّيه أرسطو بعلة العالم خلق العقل الفعّال مباشرة أي بغير واسطة بينما خلقت سائر الاشياء بواسطة العقل الكلي ولا شكّ أن حاصل كلامه هو سلب الإرادة عن الله واثبات خالق مع الله وهو العقل الفعّال ،فالله باشر خلق العقل بنفسه دون سائر المخلوقات التي أبدعها العقل .

وهو يسمي الله بعلة العالم الذي خلق العقل الكلي وهذا الأخير أنتج النفس الكلية وهذا ما يشير إليه علماء الإسماعيلية وفلاسفتها .

يذكر الشهرستاني في بيان مذهب القوم بقوله :" قالوا: وكذلك نقول في القدم إنه ليس بقديم ولا محدث بل القديم أمره وكلمته والمحدث خلقه وفطرته.
أبدع بالأمر العقل الأول الذي هو تام بالفعل ثم بتوسطه أبدع النفس التالي الذي هو غير تام ونسبة النفس إلى العقل أما نسبة النطفة إلى تمام الخلقة والبيض إلى الطير وأما نسبة الولد إلى الوالد والنتيجة إلى المنتج وأما نسبة الأنثى إلى الذكر والزوج إلى الزوج.
قالوا: وكذلك نقول في القدم.إنه ليس بقديم ولا محدث بل القديم أمره وكلمته

2-الداعي شهاب الدين الديلمي مطالع الشموس في معرفة النفوس تحقيق عارف تام،ر منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت ص17
-أرسطوطاليس الايضاح للخير المحض، تح عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات الكويت 1977 ، ص 12[2]

والمحدث خلقه وفطرته[1].
أبدع بالأمر العقل الأول الذي هو تام بالفعل ثم بتوسطه أبدع النفس التالي الذي هو غير تام ونسبة النفس إلى العقل أما نسبة النطفة إلى تمام الخلقة والبيض إلى الطير وأما نسبة الولد إلى الوالد والنتيجة إلى المنتج وأما نسبة الأنثى إلى الذكر والزوج إلى الزوج.
قالوا: ولما اشتاقت النفس إلى كمال العقل احتاجت إلى حركة من النقص إلى الكمال واحتاجت الحركة إلى آلة الحركة فحدثت الأفلاك السماوية وتحركت حركة دورية بتدبير النفس وحدث الطبائع البسيطة بعدها وتحركت حركة استقامة بتدبير النفس أيضا فتركبت المركبات من المعادن والنبات والحيوان والإنسان واتصلت النفوس الجزئية بالأبدان وكان نوع الإنسان متميزا عن سائر الموجودات بالاستعداد الخاص لفيض تلك الأنوار وكان عالمه في مقابلة العالم كله وفي العالم العلوي عقل ونفس كلي فوجب أن يكون في هذا العالم عقل مشخص هو كل وحكمه حكم الشخص الكامل البالغ ويسمونه الناطق وهو النبي ونفس مشخصة وهو كل أيضا وحكمه حكم الطفل لناقص المتوجه إلى الكمال أو حكم النطفة المتوجة إلى التمام أو حكم الأنثى المزدوجة بالذكر ويسمونه الأساس وهو الوصي.
قالوا: وكما تحركت الأفلاك والبائع بتحريك النفس والعقل كذلك تحركت النفوس والأشخاص بالشرائع بتحريك النبي والوصي في كل زمان دائرا على سبعة سبعة حتى ينتهي إلى الدور الأخير ويدخل زمان القيامة وترتفع التكاليف وتضمحل السنن والشرائع وإنما هذه الحركات الفلكية والسنن الشرعية لتبلغ النفس إلى حال كمالها وكمالها بلوغها إلى درجة العقل واتحادها به ووصولها إلى مرتبته فعلا وذلك هو القيامة الكبرى ".[2]

يقول ابن تيمية معلقا على عقيدتهم في الأسماء والصّفات بعد أن ذكر منهج السلف في الإيمان بالله وأسمائه وصفاته:" وأما من زاغ وحاد عن سبيلهم من الكفار والمشركين والذين أوتوا الكتاب ومن دخل في هؤلاء من الصابئة والمتفلسفة والجهمية والقرامطة والباطنية ونحوهم فإنهم على ضد ذلك يصفونه بالصفات السلبية على وجه التفصيل ولا يثبتون إلا وجودا

[1] - الملل والنحل للشهرستاني ص 203- 204
[2] -الملل والنحل للشهرستاني ص203- 204

مطلقا لا حقيقة له عند التحصيل وإنما يرجع إلى وجود في الأذهان يمتنع تحققه في الأعيان فقولهم يستلزم غاية التعطيل وغاية التمثيل فإنهم يمثلونه بالممتنعات والمعدومات والجمادات ويعطلون الأسماء والصفات تعطيلا يستلزم نفي الذات فغلاتهم يسلبون عنه النقيضين فيقولون: لا موجود ولا معدوم ولا حي ولا ميت ولا عالم ولا جاهل لأنهم يزعمون أنهم إذا وصفوه بالإثبات شبهوه بالموجودات وإذا وصفوه بالنفي شبهوه بالمعدومات فسلبوا النقيضين وهذا ممتنع في بداهة العقول وحرفوا ما أنزل الله من الكتاب وما جاء به الرسول فوقعوا في شر مما فروا منه فإنهم شبهوه بالممتنعات إذ سلب النقيضين كجمع النقيضين كلاهما من الممتنعات"[1]

ويقول أيضا في موضع أخر : إن الإسماعيلية وضعوا لأنفسهم اصطلاحات روجوها على المسلمين ومقصودهم بها مقصود الفلاسفة الصابئون والمجوس الثنوية كقولهم السابق والتالي ويعنون به العقل والنفس ويقولون هو اللوح والقلم وأصل دينهم مأخوذ من دين المجوس والصابئين[2].

وفي المعنى يقول الداعي شهاب الدين بن نصر الديلمي (تـ883هـ) موضّحا نظرية الإبداع عند الباطنية : " إن العالم محدَث كائن بعد أن لم يكن ، وأن موجِده أوجده إبداعا لا من شيء ، وأنه قال له : كن ! فكان فيضا واحدا ، فهو العقل الفعال الأول ، والموجود الأكمل ، والحجاب المفضّل . وظهر عنه التالي مخترعا من نوره ، ثم ظهرت جميع الموجودات منهما وبهما . فالفيض الأول هو أصل الإيجاد ، وهو المبدأ وإليه المعاد ، وهو السابق صاحب التمام والكمال.[3]

وهنا لا يجد الداعي شهاب الدين أي غضاضة في استعمال مصطلح الفيض، وإن كان الإسماعيلية يستبدلونه بمصطلح الإبداع ،أو الصدور وأغلب الظن هنا انه أراد بالفيض الإبداع، أو الصدور وليس بالمعنى المتعارف عليه عند ابن سينا ،والفارابي من ذوي النزعة الأفلوطينية لأنهم لا يقولون بالفيض بالمعنى الأول كما نبهنا وهذا ما يؤكده الكرماني في

[1] -ابن تيمية مجموع الفتاوى ج3ص7- 8

[2] -ابن تيمية بغية المرتاب مكتبة العلوم والحكم2001 -ص193-194

[3] -شهاب الدين ابو فراس الديلمي مطالع الشموس في معرفة النفوس - تح تامر عارف -دار مكتبة الحياة بيروت ص19

كتابه راحة العقل : " في كون وجوده عن المتعالي سبحانه لا على طريق الفيض كما يقول الفلاسفة ، بل على طريق الإبداع".[1]

ويعلل الكرماني وجهة نظره بقوله : " إن من شأن الفيض أن يكون من جنس ما منه يفيض ومشاركا له ومناسبا ، ويكون الفيض من جهة ما هو فيض كعين ما يفيض منه الفيض بكونه كذات الفيض ، إذ ما يفيض منه الفيض فيه من طبيعة الفيض مثل ما في الفيض من طبيعته ، ولا فرق بينهما من هذه الجهة ، كما أن الضوء الذي هو فيض من عين الشمس من جهة ما هو ضوء كعين الشمس التي منها فاض الضوء بكونها كذات الفيض ، إذ ذات الشمس يوجد فيها من الضوء مثل ما فاض عنها ، ولا فرق بينهما من هذه الجهة"[2] .

ويذكر في موضع أخر يبين معنى الإبداع وهو بمعنى الخلق :"لا شيء ، ولا على شيء ، ولا في شيء ، ولا بشيء ، ، ولا لشيء ، ولا مع شيء الذي هو الشيء الأول"[3].

والحاصل في هذه المسالة أن الكرماني فارق مذهب الفلاسفة القائلين بقدم العالم وأن أصل الخلق هو المادة أو الجوهر الفرد كما يصطلح عليه عند المتكلمين ومذهب الفارابي وابن سينا القائلين بنظرية الفيض ولم يدخل في معتقد أهل السنة القائلين بأن الخلق فطره الله من العدم وهو الحق وإن كان قريبا من مذهب الفلاسفة كما يؤكده مصطفى غالب في قوله : " اعتقاد ابن سينا حول الفيض الإلهي وخلق العالم لا يختلف كثيرا عن اعتقاد الفارابي وغيره من حكماء الإسماعيلية " [4].

وذلك أنه يتفق في نظريته مع الفلاسفة في كون أن العقل الأول هو مبدأ الوجود وهو أول ما صدر عن الله من الخلق لكن بالإبداع وهو الخلق المباشر لا بالفيض أو الصدور كما يسميه ابن سينا والفارابي .

---

[1] -الكرماني راحة العقل ص 171 تحقيق مصطفى غالب –دار الأندلس-بيروت 1968

[2] - راحة العقل للكرماني ص 171

[3] -المصدر نفسه ص 157

[4] -ابن سينا مصطفى غالب ص45منشورات دار ومكتبة دار الهلال ،بيرةت –لبنان- 1979

وكذلك أخذ الإسماعيلية رأى الأفلاطونية الحديثة في الإبداع وظهور النفس الكلية عن العقل الكلي ، وأن العالم خلق بواسطة اللوجوس (الكلمة) فجاء الإسماعيلية وقالوا : إن الكلمة التي خلق عنها العالم هي كلمة (كن) التي وردت في الآية القرآنية "إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ "وأن كلمة (كن) مكونة من الكاف والنون ، فالكاف رمز على القلم أو العقل الكلي ، والنون رمز على اللوح أي النفس الكلية .[1]

ويحدثنا الدكتور مصطفى غالب عن إنكار الباطنيين عملية خلق الإنسان بطريق التناسل ، يقول في ذلك : " إن الإسماعيلية يخالفون كل النظريات التي تقول بأن البشر خلقوا على التناسل ، أى أن الله تعالى خلق أولا إنسانا واحدا ، وخلق منه البشر على التناسل ، لأن هذا القول يجعل منزلة الباري تعالى كمنزلة بعض الرعاة ، الذي يعمد إلى شراء بقرة أو ناقة أو شاة فيبقيها عنده مدّة من الزمن لتتوالد وتتكاثر ، فالله حسب رأيهم، الإسماعيلية – له قدرة على إبداع خلق كثير دفعة واحدة ، كما خلق السماوات والأرض ، والكواكب ، والأمهات دفعة واحدة"[2]

ولا يخفى ما في هذا القول من الفساد والبطلان في العقل والواقع مع ما فيه من معارضة للنصوص القرانية المتواترة والمحكمة والتي ترجع أصل خلق الإنسان إلى نفس واحدة .

يقول ابن تيمية في أصل مذاهبهم وأقوالهم :" فإن هؤلاء الإسماعيلية أخذوا من مذاهب الفرس وقولهم بالأصلين النور والظلمة وغير ذلك أمورا وأخذوا من مذاهب الروم من النصرانية وما كانوا عليه قبل النصرانية من مذهب اليونان وقولهم بالنفس والعقل وغير ذلك أمورا ومزجوا هذا بهذا وسمّوا ذلك باصطلاحهم السابق والتالي وجعلوه هو القلم واللوح وأن القلم هو العقل الذي يقول هؤلاء إنه أول المخلوقات واحتجوا بحديث يروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أول ما خلق الله العقل ..... والعقل الأول عندهم يمتنع عليه هذا وقال بك آخذ وبك أعطى وبك الثواب وهذا العقل عندهم هو رب العالم كله هو المبدع له كله وهو معلول الأول لا

---

[1] -مطالع الشموس ص 17

[2] -مصطفى غالب الحركات الباطنية في الإسلام ص 147- 148

يختص به أربعة أعراض بل هو عندهم مبدع الجواهر كلها العلوية والسفلية والحسية والعقلية والعقل في لغة المسلمين عرض قائم بغيره وإما قوة في النفس وأما مصدر العقل عقل يعقل عقلا وأما العاقل فلا يسمى في لغتهم العقل وهؤلاء في اصطلاحهم العقل جوهر قائم بنفسه وقد بسطنا الكلام على هذا وبينا حقيقة أمره بالمعقول والمنقول وأن ما يثبتونه من المفارقات عند التحقيق لا يرجع إلا إلى أمر وجودها في الأذهان لا في الأعيان إلا النفس الناطقة وقد أخطأوا في بعض صفاتها وهؤلاء قولهم إن العالم معلول علة قديمة أزلية واجبة الوجود وإن العالم لازم لها لكن حقيقة قولهم إنه علة غائية وإن الأفلاك تتحرك حركة إرادية شوقية للتشبه به وهو محرك لها كما يحرك المحبوب المتشبه به لمحبه الذي يتشبه به ومثل هذا لا يوجب أن يكون هو المحدث لتصوراته وإرادته وحركاته فقولهم في حركة الفلك من جنس قول القدرية في أفعال الحيوان لكن هؤلاء يقولون حركة الفلك هي سبب الحوادث فحقيقة قولهم إن الحوادث كلها تحدث بلا محدث أصلا وإن الله لا يفعل شيئا ولكل مقام مقال ."[1]

ويظهر من خلال كلامه أنهم سلبوا الإرادة من الله، وأن الخلق هو تحصيل حاصل، وأثبتوا خالقا غير الله عز وجل موجود في الأذهان لا في الأعيان وأن المخلوقات إنما أبدعها الله بواسطة العقل الكلي ،ولم يباشر بنفسه خلقها ، وإبداعها وهذا كما يبدو مناقض لنصوص الوحي الصريحة والصحيحة والتي لا تقبل التأويل .

نظرية المثل والممثول :

وقد بين الكاتب إحسان إلهي ظهير مصدر النظرية وعزاها الى صاحبها الأول أفلاطون وكيف حاولت الإسماعيلية استنساخها وإعادة تسويقها من جديد وكيف حاولت إسقاطها على ما تدين به من عقائد وأراء سياسية وفلسفية حيث يقول:

"المثل هوالكلام الدال على شيئ والممثول هو مقصود الكلام الباطني الذي يدل عليه فمثلا يقول الإسماعيلية إن المبدع الأول وهو القلم يدل على

[1]-ابن تيمية منهاج السنة النبوية، تح محمد رشاد سالم ، مؤسسة قرطبة ط 1السنة 1406ه ص 18

الناطق والمبدع الثاني وهواللوح يدل على الأساس فالمبدع الأول والقلم والمبدع الثاني واللوح مثل والناطق والأساس ممثولان .

يقول الدكتور محمد كامل حسين مبينا التأويل وعلاقته بالمثل والممثول وأصل هذه النظرية ومصدرها وماخذها فيقول:"فالقاعدة في التأويل عند الإسماعيلية هي تطبيق المثل والممثول ،فظاهر القران مثل وباطنه ممثولات والظاهر هو هذه المعاني التي يعرفها العامة وينطق بها علماء أهل السنة والباطن هو هذه المعاني التي يستخلصها الوصي والأئمة من أهل البيت دون سواهم من سائر المسلمين ،وعلى الرغم من أن الإسماعيلية أتوا بأدلة من القران الكريم على التأويل وعلى نظرية المثل والممثول فإنّ هذه النظرية وإن كانت قد صبغت بالصبغة الإسلامية فإنها هي نظرية المثل الأفلاطونية القديمة ،أدخلوها في عقيدتهم بعد أن غيروا فيها بما يتفق مع تعاليمهم وعقائدهم الإسلامية،ويخيل إلى أن فكرة التأويل الباطن على هذا النحو الذي نراه عند الإسماعيلية لم تعرف عند المسلمين قبل عصر الترجمة والحركة العلمية التي ظهرت في عصر المأمون العباسي وبعده ،وبعد أن ترجمت الكتب الفلسفية اليونانية ،فالمعروف أن بعض فلاسفة الإسكندرية وعلى الأخص فيلون وتلاميذه حاولوا تأويل التوراة تأويلا باطنيا-إنصح هذا التعبير-وأن القديس أوغسطين هو أول من حاول تأويل الإنجيل تأويلا باطنيا كذلك ،وجاء الإسماعيلية وأخذوا فكرة التأويل إلى العرب من آثار هؤلاء الفلاسفة ولكنهم صبغوا تأويلهم بالصبغة الإسلامية كعادتهم دائما في كل ما أخذوه عن العلوم والفلسفة الأجنبية" [1].

يبين ابن تيمية خلاصة مذهبهم في نظرية المثل فيقول :" وكان قدماء القوم يتصورون في أنفسهم أمورا عقلية فيظنونها ثابتة في الخارج كما يحكى عن شيعة فيثاغورس وأفلاطون وأن أولئك أثبتوا أعدادا مجردة في الخارج وهؤلاء أثبتوا المثل الأفلاطونية وهي الكليات المجردة عن الأعيان وأثبتوا المادة المجردة وهي الهيولي الأولية وأثبتوا المادة المجردة وهي الدهر العقلي المجرد عن الجسم وأعراضه وأثبتوا الفضاء المجرد عن الجسم وأعراضه وأرسطو وأتباعه خالفوا سلفهم في ذلك ولم يثبتوا من هذه

[1] -إحسان إلهي ظهير الإسماعيلية تاريخ وعقائد طبع في احدبرانترز-لاهور اسلاماباد-بدون تاريخ ص484-485

شيئا مجردا ولكن أثبتوا المادة المقارنة للصورة وأثبتوا الكليات المقارنة للأعيان وأثبتوا العقول العشرة وأما النفس الفلكية فأكثرهم يجعلها قوة جسمانية ومنهم من يقول هي جوهر قائم بنفسه كنفس الإنسان ولفظ الصورة يريدون به تارة ما هو عرض كالصورة الصناعية مثل شكل السرير والخاتم والسيف وهذه عرض قائم بمحله والمادة هنا جوهر قائم بنفسه ويريدون بالصورة تارة الصورة الطبيعية وبالمادة المادة الطبيعية ولا ريب أن الحيوان والمعادن والنبات لها صورة هي خلقت من مواد لكن يعنون بالصورة جوهرا قائما بنفسه وبالمادة جوهرا آخر مقارنا لهذه وآخرون في مقابلتهم من أهل الكلام القائلين بالجوهر الفرد ويزعمون أنه ما ثم من حادث يعلم حدوثه بالمشاهدة إلا الأعراض وأنهم لا يشهدون حدوث جوهر من الجواهر."[1]

المبحث الثاني: الأصول الفارسية واليهودية والهندية والمسيحية :

[1]-ابن تيمية منهاج السنة النبوية ص 19

يرجع احمد أمين الدافع إلى التشيع أهداف خفية فيقول :"الحق أن التشيع كان مأوى يلجأ اليه كل من أراد هدم الإسلام لعداوة أو حقد،ومن كان يريد إدخال تعاليم أبائه من يهودية ونصرانية وزرادشتية وهندية، ومن كان يريد استقلال بلاده والخروج على مملكته ،كل هؤلاء كانوا يتخذون حب أهل البيت ستارا يضعون وراءه كل ما شاءت أهواءهم ،فاليهودية ظهرت في التشيع بالقول بالرجعة وقال الشيعة إن النار محرمة على الشيعي إلا قليلا ،كما قال اليهود "لن تمسنا النار إلا أياما معدودات " والنصرانية ظهرت في التشيع في قول بعضهم أن نسبة الإمام إلى الله كنسبة المسيح إليه ،وقالوا إن اللاهوت اتحد بالناسوت في الإمام وإن النبوة والرسالة لا تنقطع أبدا،فمن اتحد به اللاهوت فهو نبي ،وتحت التشيع ظهر القول بتناسخ الأرواح وتجسيم الله والحلول ونحو ذلك من الأقوال التي كانت معروفة عند البراهمة والفلاسفة والمجوس من قبل الإسلام ،وتستر بعض الفرس بالتشيع وحاربوا الدولة الأموية ،وما في نفوسهم إلا الكره للعرب ودولتهم،والسعي لاستقلالهم قال المقريزي :"واعلم أن السبب في خروج أكثر الطوائف عن ديانة الإسلام ،أن الفرس كانت سعة الملك وعلو اليد على جميع الامم وجلالة الخطر في أنفسها بحيث أنهم كانوا يسمون أنفسهم الأحرار والأسياد ،وكانوا يعدون سائر الناس عبيدا لهم ،فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم على أيدي العرب ،وكان العرب عند الفرس أقل الأمم خطرا ،تعاظم الأمر ،وتضاعفت لديهم المصيبة ،وراموا كيد الإسلام بالمحاربة في أوقات شتى ،وفي كل ذلك يظهر الله الحق ....فرأوا أن كيده على الحيلة أنجع،فأظهر قوم منهم الإسلام واستمالوا أهل التشيع بإظهار محبة أهل البيت واستبشاع ظلم علي ،ثم سلكوا بهم مسالك شتى حتى أخرجوهم على طريق الهدى "[1] .

والى نحو هذا الكلام يذهب البغدادي في قوله :" وذكر أصحاب التواريخ أنَّ الذين وضعوا أساس دين الباطنية كانوا من أولاد المجوس، وكانوا مائلين إلى دين أسلافهم، ولم يجسروا على إظهاره خوفًا من سيوف المسلمين، فوضع الأغمار منهم أُسسًا مَن قَبِلها منهم، صار في الباطن إلى تفضيل أديانِ المجوس، وتأَوَّلُوا آيات القرآن، وسنن النبي - عليه السلام - على مُوافقة أُسسهم.

[1] -فجر الإسلام أحمد امين 276- 277

وبيان ذلك أن الثنَويَّة زعمَتْ أن النور والظلمة صانعان قديمان، والنور منهما فاعل الخيرات والمنافع، والظلام فاعل الشرور والمضار، وأن الأجسام ممتزجة من النور والظلمة، وكل واحد منهما مشتمل على أربع طبائع، وهي: الحرارة، والبرودة، والرطوبة، واليبوسة، والأصلان الأولان مع الطبائع الأربع مدبّراتُ هذا العالم، وشارَكَهُم المَجُوس في اعتقاد صانعين، غير أنهم زعموا أن أحد الصانعين قديم، وهو الإله الفاعل للخيرات، والآخر شيطان محدث فاعل للشرور.

وذكر زعماء الباطنية في كُتُبهم أنَّ الإله خلق النفس، فالإله هو الأول، والنفس هو الثاني، وهما مدبرا هذا العالم، وسموهما: الأول والثاني، وربما سموهما: العقل والنفس، ثم قالوا: إنهما يدبّران هذا العالم بتدابير الكواكب السبعة والطبائع الأول، وقولهم: إن الأول والثاني يدبران العالم هو بغية قول المجوس بإضافة الحوادث لصانعين؛ أحدهما: قديم، والآخر: محدث، إلا أن الباطنية عبَّرَتْ عن الصانعين بالأول والثاني، وعبَّر المجوس عنهما ببزدان وَأَهْرَمَن، فهذا هو الذي يدور في قلوب الباطنية، ووضعوا أساسًا يؤدي إليه.[1]

ويذكر في موضع أخر ما يؤكد قوله السابق حيث يقول :" وقد اختلف المتكلمون في بيان أغراض الباطنية في دعوتها إلى بدعتها، فذهب أكثرهم إلى أن غرض الباطنية الدعوة إلى دين المجوس بالتأويلات التي يتأولون عليها القرآن والسنة، واستدلوا على ذلك بأن زعيمهم الأول ميمون بن ديصان كان مجوسيًّا من سبي الأهواز، ودعا ابنه عُبيد الله بن ميمون الناسَ إلى دين أبيه، واستدلوا أيضًا بأن داعيهم المعروف بالبزدوي قال في كتابه المعروف بـ"المحصول": إن المُبْدِع الأول أبدع النفس، ثم إن الأول والثاني مدبران للعالم بتدبير الكواكب السبعة والطبائع الأربع، وهذا في التحقيق معنى قول المجوس: إن يَزْدَان خلق أهرمن، وإنه مع أهرمن مدبّران للعالم، غير أن يزدان فاعل الخيرات، وأهرمن فاعل الشرور".[2]

قال البغدادي "الذي صح عندي من دين الباطنية أنهم دهرية زنادقة،يقولون بقدم العالم وينكرون الرسل والشرائع كلها لميلها إلى استباحة كل من يميل إليه الطبع"[3].

---

[1]-الفرق بين الفرق للبغدادي ص 230

[2]-الفرق بين الفرق ص 234- 235

[3]-المصدر نفسه ص 235

والمتأمل لكلام الباطنية في مسألة الخلق لا يجدها بعيدة عن مذهب المجوس القائلين بصانعين فالخلاف لفظي وليس جوهري ولا مشاحاة في الإصطلاح إذ أن أسلوب الباطنية كان موغلا في التستر والتلبيس جريا على مبدئهم الباطني وغاية ما في الأمر أن الباطنية عبروا عن الصانعين بالعقل الكلي والنفس الكلية ،بدل النور والظلمة فمزجوا بين مذهب الفلاسفة والمجوس لينتجوا هذا المذهب الهجين .

وقد ذهب الأستاذ ولهوسن(**wellhaussin**) إلى أن العقيدة الشيعية نبعت من اليهودية أكثر مما نبعت من الفارسية مستدلا أن مؤسسها عبد الله بن سبأ وهو يهودي ويميل الاستاد دوزي **Dozy** إلى أن أساسها فارسي فالعرب تدين بالحرية،والفرس يدينون بالملك وبالوراثة في البيت المالك ولا يعرفون معنى لانتخاب الخليفة ،وقد مات محمد ولم يترك ولدا فأولى الناس بعده ابن عمه علي بن أبي طالب فمن أخذ الخلافة منه كأبي بكر وعمر وعثمان والأمويين ،فقد اغتصبها من مستحقها وقد اعتاد الفرس أن ينظروا الى الملك نظرة فيها معنى إلهي ،فنظروا هذا النظر نفسه إلى علي وذريته وقالوا إن طاعة الإمام أول واجب وأن إطاعته إطاعة **الله.** [1]

تأثرت ديانات الفرس باليهود والنصارى والبوذيين فاليهود حلوا بلاد فارس منذ ان سباهم "بختنصر"وازداد عددهم في عهد الاشكانيين،وقد نظم اليهود أنفسهم منذ القرن الأول الميلادي ،واعترف بعض ملوك فارس بهم،وقد أنشاوا مدرسة سورا المشهورة في أوائل القرن الثالث الميلادي ،وصاهروا ملوك الفرس ومرازبهم فامتزج الدم اليهودي بالفارسي ،فزوجة بختنصر كانت يهودية واسمها "دينارد" وكانت سبب رد بني إسرائيل إلى بيت المقدس .[2]

وهو مذهب المستشرق بارنار لويس **في قوله : "**صادفت الدعوة الإسماعيلية هوى في نفوس جماعات مختلفة في العنصر والدين ،مزدكيين ومانويين وصابئين وشيعة وسنة ومسيحيين ويهود من كل نوع فأنشأت بحكم الضرورة نطاقا قويا من التداخل المعتقدي يقترب من مذهب عقلي

[1] -فجر الإسلام احمد أمين ص 277

[2] -عبد الله محمد الغريب وجاء دور المجوس ،دار المعرفة بيروت ص 30

خالص .وقد سبقهم إلى هذا عيساوية أصفهان وربما تأثروا بها والعيساوية هي فرقة يهودية ادعت في أثناء خلافة عبد الملك الأموي بأن محمدا وعيسى كان نبيين صادقين بالنسبة إلى وطنيهما وشعبيهما اللذين ظهرا فيهما فطور الإسماعيليون هذه الفكرة وصاغوها نظاما محكما أصبحت بموجبه الصحة النسبية لجميع الأديان معترفا بها ،والغي التعصب الديني إلغاء تاما ،وخير تعبير عن هذا نجده في رسائل إخوان الصفا ومنها نقتبس العبارات التالية التي تمثل النغمة العامة للحرية الدينية :"وينبغي لإخواننا أيدهم الله ألا يعادوا علما من العلوم أو يهجروا كتابا من الكتب ،ولا يتعصبوا على مذهب من المذاهب، لأن رأينا ومذهبنا يستغرق المذاهب كلها،ويجمع العلوم جميعها "[1]

ويؤكد بارنار لويس نظرته السابقة للإسماعيلية بحيث يصفهم في سياق المدح والثناء فيقول :"درسوا كتب اليهود والنصارى المقدسة وفسروها بأساليب إسماعيلية ،وقد استفاد الفيلسوف الفاطمي الكبير حميد الدين الكرماني المتوفي بعد سنة (408ه=1017م) كثيرا من التوراة والإنجيل ونجد من كتب الدروز إشارات من التوراة والإنجيل بل هناك ترجمة فارسية لموعظة الجبل بتفسير إسماعيلي،وقد ذكر بنيامين التطيلي أن الدروز في سوريا كانواصدقاء مخلصين لليهود ،وكان في فارس مجتمع يهودي يعيش تحت حكم الإسماعيليين ،ويذهب ابناؤه الى الحرب كلما ذهب الإسماعيليون إلى الحرب .

وفي الكتابات الإسماعيلية كثير من أشباه هذه التصريحات مثال ذلك كتاب (الشواهد)لجعفر بن منصور اليماني الذي يعد الصابئين من المؤمنين بالله ويقول بان اليهود والمسيحيين ،وأتباع أي دين آخر يؤمنون بالله واليوم الاخر ويعملون الصالحات ويطيعون الله ويدخلون الجنّة وقد افزع مذهب التداخل المعتقدي **Interconfessionalism** هذا فقهاء السنة ،فأسهب بن رزام في الكلام عن تسامح الدعوة الباطنية الديني وعن محاولتها ضمّ الناس

[1] -بارنار لويس أصول الإسماعيلية - تقديم الدكتور خليل احمد خليل –دار الحداثة-1980لبنان ص 152- 153

من كل دين بعرضها لهم ماهو أكثر استهواء وتشويقا ويذكر هذا الغزالي أيضا ويأسف له ويستعيذ منه "[1].

ويضيف في هذا الصدد المستشرق هنري كوربان ما يؤكد قول سابقه عندما يقول في سياق المدح والتعاطف :"لقد تحقق هؤلاء المفكرون الكبار في هذه الحقبة من أن الكنز الدفين للوجدان الشيعي يكمن في تلك الوحدة المتلاحمة بين الوحي النبوي من جهة والفكر الفلسفي الذي يوغل في الغوص على المعاني الباطنة الكامنة في هذا الوحي من جهة أخرى[2].

والملاحظ أن كل من المستشرق بارنار لويس ونري كوربان ينظران إلى القرامطة نظرة إعجاب ،واحترام فهما يصوران نزوعهم إلى وحدة الأديان والتقارب مع المذاهب المخالفة إلى حد الذوبان على أنه تسامح وتحرر وأمر لا يستوجب الذم بل يمدحون عليه بينما يصور فقهاء أهل السنة على أنهم متعصبون ويذكر هنري أن روح التسامح والتحرر كانت أكثر وضوحا عند الفاطميين منها عند القرامطة الذين عرفوا بالأسلوب الثوري والجنوح إلى العنف وسفك الدماء.

القول بالإباحية :

وهذا مذهب قبيح لم يعرف عند العرب في جاهلية ولا إسلام ،والثابت أنه كانت متفشيا عند الفرس الذين كانوا على مذهب مزدك ويؤيد ذلك ما ذكره أحمد أمين حيث يقول :"ولم تكن فارس على عقيدتها الزرادشتية والبوذية بأحسن حالا ،فكان الملوك يتزوجون بناتهم وأخواتهم حتى يزدجرد الثاني جنى على بنته ثم قتلها وبهرام جوبين كان متزوجا بأخته وكانت فارس مسرحا لمذهب ماني الزاهد المتنسك ومزدك الإباحي المتهتك.[3]

وقد تأثر الإسماعيلية بمذهب أسلافهم الفرس وبثوا في أتباعهم هذا المذهب الخبيث ودعوهم إلى الوقوع في الفاحشة إلا أنهم تدرجوا معهم وتحايلوا عليهم وزينوا لهم أعمالهم حيث أنشد علي بن الفضل :

---

[1] -أصول الاسماعيلية بارنار لويس 154- 155

[2] -هنري كوربان تاريخ الفلسفة الإسلامية ص 80

[3] -أحمد أمين يوم الإسلام مكتبة النهضة المصرية -القاهرة-بدون تاريخ ص 8

خذي الدف يا هذه والعبي وغني هزاريك ثم أطربي

تولي نبي بني هاشم وهذا نبي بني يعرب

لكل نبي مضى شرعه وهذي شرائع هذا النبي

فقد حط عنا فروض الصلاة وحط صيام ولم يتعبض

إذا الناس صلوا فلا تنهضي وإن صاموا فكلي وأشربي

ولا تمنعي نفسك المعرسين من أقربي ومن أجنبي

فكيف تحلي لهذا الغريب وصرت محرمة للأب

أليس الغراس لمن ربه وسقاه في الزمن المجدب

وما الخمر إلا كماء السماء حلال فقدست من مذهب[1]

وكان قد ادعى النبوة واستحل المحرمات إذ المحرم عندهم هو موالاة أبي بكر وعمر وقد كان حمدان قرمط داعيتهم أول من زين لهم الإباحية باسم الألفة ،فقد نقل المستشرق بارنار لويس الرواية مشككا في صحتها حيث يقول :" فلما استقام له ذلك كله –أي حمدان قرمط- وصبوا إليه ،وعملوا به أمر الدعاة أن يجمعوا النساء ليلة معروفة ويختلطن بالرجال وقال إن ذلك من صحة الود والألفة بينهم ."[2]

والعجب أن يستبعد بارنار لويس هذه الفعلة الشنيعة على طائفة مثل القرامطة الذين استحلوا دماء الحجيج واستباحوا الكعبة ونهبوا الحجر الأسود وردموا زمزم بل الحق ان إباحيتهم مستلهمة من أصولهم الفارسية كما بيناه سابقا .

ويذكر البغدادي أهل الإباحة فيقول :

[1] -الملل والنحل للشهرستاني انظر هامش الكتاب ص 202

[2] -بارنار لويس ص158 –تقديم الدكتور خليل احمد خليل-دار الحداثة 1980 ص 158

"فؤلاء صنفان: صنف مِنْهُم كَانُوا قبل دولة الإسلام كالمزدكية الَّذين استباحوا الْمُحرمَات وَزَعمُوا ان النَّاس شُرَكَاء فى الأموال وَالنِّسَاء ودامت فتْنَة هَؤُلَاءِ إلى أن قَتلهمْ انوشروان فى زَمَانه والصنف الثانى خرمدينية ظَهَرُوا فِي دولة الإسلام وهم فريقان بابكية وَمَا زيارية وكلتاهما مَعْرُوفَة بالمحمرة فالبابكية مِنْهُم اتِّبَاع بابك الخزى الذي ظهر فِي جبل الْيَدَيْنِ بِنَاحِيَة أذربيجان وَكثر بهَا اتِّبَاعه واستباحوا الْمُحرمَات وَقتلُوا الْكثير من الْمُسلمين وجهز إليه خلفاء بنى الْعَبَّاس جيوشا كَثِيرَة مَعَ أفشين الْحَاجِب وَمُحَمّد بن يُوسُف التعرى وأبى دلف العجلى وأقرانهم وَبقيت العساكر فِي وَجهه مِقْدَار عشْرين سنة إلى أن أَخذ بابك وأخوه اسحق بن إبرهيم وصلبا بسرمن راى فِي أيام المعتصم واتهم أفشين الْحَاجِب بممالقة بابك فِي حربه وَقتل لأجل ذَلِك واما المازبارية مِنْهُم فهم اتِّبَاع مَا زيار الذى اظهر دين المحمرة بجرجان.

وللبابكيه فِي جبلهم لَيْلَة عيد لَهُم يَجْتَمعُونَ فِيهَا على الْخمر وَالزمر وتختلط فِيهَا رِجَالهمْ وَنِسَاؤُهُمْ فاذا أطفئت سرجهم ونيرانهم افتض فِيهَا الرِّجَال َالنِّسَاء على تَقْدِير من عزّ بزّ.[1]

والبابكية ينسبون أصل دينهم إلى أَمِير كَانَ لَهُم فِي الْجَاهِلِيَّة اسْمه شروين ويزعمون أن أباه كَانَ من الزنج وامه بعض بَنَات مُلُوك الْفرس ويزعمون أن شروين كَانَ افضل من مُحَمَّد وَمن سَائِر الأنبياء وَقد بنوا فِي جبلهم مَسَاجِد للْمُسلمين يُؤذن فِيهَا الْمُسلمُونَ وهم يعلمُونَ أَوْلَادهم الْقُرْآن لكِنهمْ لَا يصلونَ فِي السِّرّ وَلَا يَصُومُونَ فِي شهر رَمَضَان وَلَا يرَوْنَ جِهَاد الْكَفَرَة وَكَانَت فتْنَة مازيار قد عظمت فِي ناحيته إلى أن اخذ فِي أيام المعتصم أيضا وصلب بسر من رأى" بحذاء بابك الخرمي."

وَاتِّبَاع مازيار الْيَوْم فِي جبلهم اكرة من يليهم من سَواد جرجان يظهرون الإسلام ويضمرون خِلَافه وَالله الْمُسْتَعَان على أهل الزيغ والطغيان."[1]

[1] - أي: "من غلب سلب " انظر لسان العرب لابن منظور الجزء 2ص 76

يقول الدكتور عبد المنعم الحفني :"وهؤلاء استحلوا الخمر والميتة والزنا واللواط وسائر المحرمات المذكورة في القران أنها كنايات عن قوم يجب بغضهم كأبي بكر وعمر وطلحة،وكان ابن أبي العذافر يقول عن اللواط أنه إيلاج الفاضل نوره في المفضول ،وأباح أتباعه حرمهم طمعا في إيلاجه نوره فيهن ."[2]

والبابكية والمحمرة من أسماء الفرق الباطنية ولعل البغدادي في حديثه عن أصحاب مذهب الإباحة يريد ربط مذاهب الإباحة المحدثة في العصر الإسلامي بمن تقدمهم الفرس اتباع مزدك وفي ذلك إشارة إلى أصولهم الفارسية المزدكية لأنه لم يعرف في تاريخ العرب وأخلاقهم ومللهم مثل هذا الذي عرف عند الاسماعيلية حتى في العصر الجاهلي ولم ينقل لنا عبر التراث الأدبي الموثق مثل هذه الخلاعة والتهتك الأخلاقي والانحلال .

والملاحظ أن المستشرق بارنار لويس ينظر إلى القرامطة نظرة إعجاب ،واحترام فهو يصور نزوعهم إلى وحدة الأديان والتقارب مع المذاهب المخالفة إلى حد الذوبان على أنه تسامح وتحرر و أمر لا يستوجب الذم بل يمدحون عليه بينما يصور فقهاء أهل السنة على أنهم متعصبون ويذكر أن روح التسامح والتحرر كانت أكثر وضوحا عند الفاطميين منها عند القرامطة الذين عرفوا بالأسلوب الثوري والجنوح إلى العنف وسفك الدماء.

التناسخ :

فقد قالت المانوية 3" :إن الأرواح التي تفارق الأجسام نوعان أرواح الصديقين وأرواح أهل الضلالة فأرواح الصديقين إذا فارقت أجسادها سرت في عمود الصبح إلى النور الذي فوق الفلك فبقيت في ذلك العالم على السرور الدائم وأرواح أهل الضلال إذا فارقت الأجساد وأرادت اللحوق بالنّور الأعلى ردت منعكسة إلى السفل فتتناسخ في أجسام الحيوانات إلى أن تصفو من شوائب الظلمة ثم تلتحق بالنور العال" . يقول صاحب كتاب

-الفرق بين الفرق للبغدادي 218- 219[1]

-موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية عبد المنعم الحفني ص12دار الرشاد 1993 ص 12[2]

1- نسبة إلى ماني الفارسي بن فاتك الحكيم قال بنبوة عيسى وقال بالوهية النور والظلمة قتله بهرام بن هرمز بن

وجاء دور المجوس :"وقد بدا ماني دعوته في الهند مما جعل بعض المؤرخين يعتقدون أنه أخذ نظرية التناسخ من البوذية ،أو عن بعض المذاهب الهندية الأخرى .[1]

ويقول الدكتور محمد الخطيب : " أن جميع الطوائف الإسماعيلية الباطنية تؤمن بالتناسخ ، إما بين الإنسان والإنسان كما تقول به الإسماعيلية والدرزية ، أو بين الإنسان والحيوان كما تقول به النصيرية الحركات الباطنية[2]. "

وأول من قال بالتناسخ وإنكار البعث عبد الله بن الحارث من أهل المدائن . [3]

يقول الشهرستاني في بعض فرق المجوس القائلين بالتناسخ :" شخص والتناسخية منهم: قالوا بتناسخ الأرواح في الأجساد والانتقال من إلى شخص وما يلقي الإنسان من: الراحة والتعب والدعة والنصب: فمرتب والإنسان أبداً في أسلفه من قبل وهو في بدن آخر جزاء على ذلك. على ما أحد أمرين: إما في فعل وإما في جزاء.

وما هو فيه: فإما مكافئة على عمل قدمه وإما عمل ينتظر المكافأة عليه

والجنة والنار في هذه الأبدان وأعلى عليين: درجة النبوة وأسفل السافلين: وجود أعلى من درجة الرسالة ولا وجود أسفل من دركة الحية،فلا وجود دركة الحية".

ومنهم من يقول: الدرجة الأعلى درجة الملائكة والأسفل دركة الشيطانية ويخالفون بهذا المذهب سائر الثنوية فإنهم يعنون بأيام الخلاص رجوع أجزاء النور إلى عالمه الشريف الحميد وبقاء أجزاء الظلام في عالمه الخسيس الذميم"[4]

- وجاء دور المجوس ص 25[1]
- الحركات الباطنية ص 43[2]
- أطلس الفروق والمذاهب الإسلامية ص 24[3]
-الملل والنحل للشهرستاني 281ص[4]

الفصل الثالث

- **تجليات الأصول الفلسفية في مذهب النصيرية**

المبحث الأول: النصيرية: تعريفها ونشأتها وموقفها من الإمامة

المبحث الثاني : عقائد النصيرية وأشهر رجالاتها

المبحث الثالث: علاقة النصيرية بالاستعمار وفتوى ابن تيمية في الطائفة

المبحث الأول : النصيرية: تعريفها ونشأتها وموقفها من الإمامة

تعريف ونشأة النصيرية:

هي طائفة باطنية من الغلاة، انفصلت عن الشيعة الاثنا عشرية في القرن الثالث الهجري على يد رجلٍ يُقال له: محمد بن نصير النميري وهو فارسي الأصل يعتبر المؤسس الفعلي للمذهب عاش في القرن الثالث الهجري [1]

وبعد وفاة الحسن العسكري الذي تدعي الرافضة أنه إمامها الحادي عشر سنة260هـ ادعت طائفة من المنتسبين إليه أن له ولداً اختفى في سرداب بمنزل أبيه في (سامراء) وأنه الإمام بعد أبيه, وخرج مجموعة من غلاة الشيعة كل يدعي أنه هو الواسطة بين هذا الإمام الغائب في السرداب ـ في زعمهم ـ وبين الشيعة,ويسمى بالباب ومن هؤلاء محمد بن نصير الذي سمي أتباعه ـ فيما بعد ـ بالنصيرية نسبة إليه, ونشأت النصيرية من ذلك الوقت, كما نشأت طوائف أخرى كل طائفة اتبعت أحد هؤلاء النواب وأنكرت ما سواه. في حين أن التاريخ يثبت أن الحسن العسكري مات عقيمًا.

ومن أسمائها النميرية نسبة الى مؤسسها أحمد بن نصير النميري وكان النميري من أصحاب الحسن العسكري وادعى النبوة ثم الربوبية وقال بإباحة المحارم [2]

أما اسم العلوية فقد أطلقه عليهم الفرنسيون من باب التمويه ولاستمالتهم ومكافأتهم على تعاونهم أيام الانتداب الفرنسي سنة 1920 وقد كانوا يسرون بهذه النسبة وينزعجون من اسم النصيرية لأنهم كانوا يرونه يطلق عليهم من باب التحقير ا والازدراء وانه مرتبط بالتكفير والتشنيع عليهم وأن هذا اللقب يقربهم من بقية الطوائف الشيعية[3]

---

[1] -الحركات الباطنية أحمد الخطيب ص321

[2] -الفرق بين الفرق ص 239

[3] - تاريخ العلويين محمد امين غالب الطويل ص 289

وأطلق عليهم شيخ الإسلام ابن تيمية اسم الإسماعيلية والقرامطة والباطنية والملاحدة وهذا من قبيل إطلاق العام على الخاص فهم وإن اختلفوا في التسمية لكن اصول الباطنية ومشاربهم واحدة ولا مشاحاة في الاصطلاح واطلق عليهم الشهرستاني الإسحاقية [1]

وهم يلقبون الآن في سوريا بالطائفة الكريمة يتميزون بهذا الوصف عن بقية السوريين لما أصبح لهم من شوكة ومنعة ونفوذ بسبب استيلائهم على السلطة في ظل حكم عائلة الأسد وذلك منذ انقلابه سنة 1971م

موطنهم:

يسكن النصيرية في جبال اللاذقية, وحماة، وحمص في سوريا. وفي لواء الاسكندرونه، وطرسوس، وأدَنَه أو أَطَنَه (في تركيا حاليًا)، وفي كردستان، وغيرها.

أشهر رجالات النصيرية :

أبو شعيب محمد بن نصير البصري النميري المتوفي سنة 260ه والذي كان مولى للحسن العسكري الإمام الحادي عشر من أئمة الشيعة الإمامية الإثناعشرية ،ثمّ انشّق عنها وكون هذه الطائفة التي تنسب إليه ،وقد ادعى انبوة وأن الذي أرسله هو أبو الحسن علي بن أبي طالب ،وكان يقول بالتناسخ والغلو في أبي الحسن ويقول فيه بالربوبية وبالإباحة للمحارم .[2]

طوائفهم:

ينقسم النصيرية إلى أربع طوائف:

1- الحيدرية: نسبة إلى " حيدر " لقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

2- الشمالية: وهم يقولون إن علياً يسكن في الشمس, ويقال لهم الشمسية.

3- الكلازية: أو القمرية ويعتقدون أن علياً يقيم في القمر.

4- الغيبية: يقولون: إن الله تجلّى ثم اختَفَى، والزمان الحالي هو زمان الغيبية, ويُقرّرُون أن الغائب هو الله الذي هو علي.[3]

وليس بين هذه الطوائف اختلاف في أصول العقيدة الباطنية, كتأليه علي والتناسخ والحلول فالاختلاف بينهم في مقره بعضهم يجعل مقره القمر, وبعضهم الشمس.

2-نسبة إلى إسحاق بن زيد بن الحرث كان يقول بالإباحةوإسقاط التكاليف ويثبت لعلي الشركة مع النبي ثم قال بالحلول انظر هامش الملل والنحل للشهرستاني ص192

- طائفة النصيرية سليمان الحلبي 37-38- 39[2]

- طائفة النصيرية سليمان الحلبي ص54- 55[3]

يقول الدكتور عبد الله غريب :" عبد الفرس قوى الطبيعة والأجرام السماوية ، وآلهة تمثل قوى أخلاقية ، أو آراء معنوية مجسمة ، وكان الدين عندهم يتدخل في أقل أمور الحياة اليومية ، وكان على الفرد أن يصلي للشمس أربع مرات أثناء النهار ، كما يصلي للقمر وللنار وللماء ، ونار البيت لا يجوز أن يخبو لهيبها ."[1]

وهذه إحدى آثار وتجليات العقائد الفارسية الزرادشتية في أصول النصيرية .

الإمامة عند النصيرية :

هم في الحقيقةعلى عقيدة الإمامية الإثناعشرية لأنهم يوافقون الإمامية في عقيدتهم القائلة بأن الإمامة من أركان الدين وأن الأئمة معصومون ولا حظ في الإسلام لمن لا يؤمن بها وأنها ثابتة لعلي بالنصوص الصريحة حسب زعمهم وقد ثبتت لذريته من بعده الى أن تصل الإمام الثاني عشر عشر وترتيبهم كالتالي :

1_ علي بن أبي طالب ولد قبل البعثة بعشر سنوات، واستشهد سنة أربعين.

2_ الحسن بن علي (الزكي) (3 _50هـ) .

3_ الحسين بن علي (سيد الشهداء) (4 _61هـ).

4_ أبو محمد علي بن الحسن (زين العابدين) (38 _95 هـ).

5_ أبو جعفر محمد بن علي (الباقر) (57_114 هـ).

6_ أبو عبدالله جعفر بن محمد (الصادق) (83 _ 148 هـ).

7_ أبو إبراهيم موسى بن جعفر (الكاظم) (128_183هـ).

8_ أبو الحسن علي بن موسى (الرضا) (148_202 أو 203 هـ).

9_ أبو جعفر محمد بن علي (الجواد) (195_220 هـ).

10_ أبو الحسن علي بن محمد (الهادي) (212_254هـ).

11_ أبو محمد الحسن بن علي (العسكري) (232_260هـ).

[1] -وجاء دور المجوس ص 30

12_ أبو القاسم محمد بن الحسن (المهدي).[1]

هذا وإن كانوا ينتسبون إلى الإمامية الجعفرية بالنظر إلى مسألة الإمامة إلا أنهم أقرب إلى الإسماعيلية فيما سواها من العقائد وهم أكثر نزوعا وإيغالا في التأويل والتأثر بالأفلاطونية المحدثة من نظرائهم الجعفرية الإثناعشرية ،والملاحظ ان العدد إثنا عشر مقصود ولم يأت عبثا خاصة إذا عرفنا أن الإمام الحادي عشر وهو الحسن العسكري لم يخلّف عقبا باعتراف بعض مراجع الشيعة وعلمائهم حيث يعلق الشيخ حسين الموسوي :"لقد تناول الأخ الفاضل السيد أحمد الكاتب هذا الموضوع فبين ان الإمام الثاني عشر لاحقيقة ،ولا وجود لشخصه وقد كفانا الفاضل المذكور مهمة البحث في هذا الموضوع ،ولكني أقول:كيف يكون له وجود وقد نصت كتبنا المعتبرة على أن الحسن العسكري –الإمام الحادي عشر- توفي ولم يكن له ولد،وقد نظروا في نسائه وجواريه عند موته ولم يجدوا واحدة منهن حاملا أو ذات ولد راجع لذلك كتاب (الغيبة للطوسي ص74)،(الإرشاد للمفيد ص 345)،(أعلام الورى للفضل الطبرسي ص380)،(المقلات والفرق للأشعري القمي ص102).

وقد حقق الأخ الفاضل السيد أحمد الكاتب في مسألة نواب الإمام الثاني ،فأثبت انهم قوم من الدجلة ادعوا النيابة من أجل الاستحواذ على مايراد من أموال الخمس وما يلقى في المرقد ،أو عند السرداب من تبرعات ".[2]

والسؤال الذي يفرض نفسه بعد الذي تقدم هو ما السر في العدد اثناعشر هل كان مجرد تكملة للحسبة أم هناك خلفية دينية وعقائدية يتسترون خلفها والجواب على هذا التساؤل نجده عند أحد علمائهم وهو حسين الموسوي حيث يقول :"ويحسن بنا أن ننبه إلى أن أصحابنا اختاروا لهم اثني عشر إماما ،وهذا عمل مقصود فهذا العدد يمثل عدد أسباط بني إسرائيل ،ولم يكتفوا بذلك بل أطلقوا على أنفسهم تسمية (الإثني عشرية) تيمنا بهذا العدد وكرهوا جبريل عليه السلام والروح الأمين كما وصفه الله تعالى في القران الكريم،وقالوا:إنه خان الأمانة إذ يفترض أن ينزل على

[1] - التاريخ الإسلامي علي محمد الصلابي ص 21

[2] -حسين الموسوي كشف الأسرار وتبرئة الائمة الأطهار ص 97دار ابن حزم القاهرة ط1 سنة 2008

علي عليه السلام،ولكنه حاد عنه ،فنزل الى محمد صلى الله عليه وسلم،فخان بذلك الأمانة ."[1]

المبحث الثاني : عقائد النصيرية وأشهر رجالاتها

عقائد النصيرية :

لقد كانت عقائد النصيرية خليط ومزيج من الثقافات والأديان والفلسفات فقد نهلت من الاسلام ومزجته بأقوال الفلاسفة المتقدمين وزادت عليه بعض الأصول الفارسية والمسيحية فأنتجت مذهبا ودينا غريبا هجينا .

القول بالحلول وبإلهية علي بن أبي طالب:

وهذا مما يختص بهذه هذه الطائفة التي وافقت عبد الله بن سبأ اليهودي الذي كان أول من زعم أن روح الإله حلت في علي رضي الله عنه وقد طلبه ليقتله فهرب ،وان كان البعض حاول التشكيك في وجود

[1] -حسين الموسوي كشف الأسرار وتبرئة الائمة الاطهارص202- 203

شخصية عبد الله بن سبأ إلا أن المصادر الشيعية ذاتها تؤكد انه حقيقة يقول حسين الموسوي :"إذن شخصية عبد الله بن سبأ حقيقة لا يمكن تجاهلها أو إنكارها ولهذا ورد التنصيص عليها وعلى وجودها في كتبنا ومصادرنا المعتبرة ،وللاستزادة في معرفة هذه الشخصية انظر المصادر التالية : "الغارات" للثقفي رجال الطوسي "الرجال" للحلي "قاموس الرجال" للتستري ...."[1]

ويسرد الشهرستاني ما تحججوا به في القول بإلهية علي بن أبي طالب فيقول : "من جملة غلاة الشيعة، ولهم جماعة ينصرون مذهبهم، ويذبون عن أصحاب مقالاتهم :وبينهم خلاف في كيفية إطلاق اسم الإلهية على الأئمة من أهل البيت. قالوا :"ظهور الروحاني بالجسد الجسماني أمر لا ينكره عاقل. أما في جانب الخير فكظهور جبريل عليه السلام ببعض الأشخاص، والتصور بصورة أعرابي، والتمثل بصورة البشر. وأما في جانب الشر فكظهور الشيطان بصورة إنسان حتى يعمل الشر بصورته. وظهور الجن بصورة بشر حتى يتكلم بلسانه. فكذلك نقول: إن الله تعالى ظهر بصورة أشخاص. ولما لم يكن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم شخص أفضل من علي رضي الله عنه وبعده أولاده المخصوصون؛ وهم خير البرية. فظهر الحق بصورتهم، ونطق بلسانهم، وأخذ بأيديهم. فعن هذا أطلقنا اسم الإلهية عليهم. وإنما أثبتنا هذا الاختصاص لعلي رضي الله عنه دون غيره، لأنه كان مخصوصا بتأييد إلهي من عند الله تعالى فيما يتعلق بباطن الأسرار. قال النبي صلى الله عليه وسلم" :أنا أحكم بالظاهر، والله يتولى السرائر" وعن هذا كان قتال المشركين إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وقتال المنافقين إلى علي رضي الله عنه. وعن هذا شبهه بعيسى ابن مريم عليه السلام. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لولا أن يقول الناس فيك ما قالوا في عيسى ابن مريم عليه السلام لقلت فيك مقالا."
وربما أثبتوا له شركة في الرسالة، إذ قال النبي عليه السلام: "فيكم من يقاتل على تأويله كما قاتلت على تنزيله، ألا وهو خاصف النعل" فعلم التأويل، وقتال المنافقين ومكالمة الجن، وقلع باب خيبر، لا بقوة جسدانية، من أول

[1]-كشف الأسرار لحسين الموسوي ص 14

الدليل على أن فيه جزءا إلهيا، وقوة ربانية. ويكون هو الذي ظهر الإله بصورته، وخلق بيديه، وأمر بلسانه. وعن هذا قالوا: كان موجودا قبل خلق السموات والأرض .قال: كنا أظلة عن يمين العرش، فسبحنا فسبحت الملائكة بتسبيحنا، فتلك الظلال، وتلك الصور التي تنبئ عن الظلال: هي حقيقته. وهي مشرقة بنور الرب تعالى إشراقا لا ينفصل عنها، سواء كانت في هذا العالم، أو في ذلك العالم .وعلى هذا قال علي رضي الله عنه: أنا من أحمد كالضوء من الضوء. يعني لا فرق بين النورين إلا أن أحدهما سابق، والثاني لاحق به، تال له، قالوا: وهذا يدل على نوع من الشركة فالنصيرية أميل إلى تقرير الجزء الإلهي. والإسحاقية أميل إلى تقرير الشركة في النبوة ."[1]

ولا يخفى ما في هذا الكلام والحجج من الباطل والتلبيس فجبريل عليه السلام لما تمثل في صورة الصحابي دحية الكلبي كان في الحقيقة حالا في ذاته لا في جسد غيره فجبريل الملك هو نفسه جبريل الذي تمثل في صورة بشر كما تشكل لمريم عندما تمثل لها بشرا سويا فالصورة هي من تغيرت ولم يتغير الجوهر فليس هناك حال ومحل كما يقتضيه الحلول وهذا كذلك يحدث للجن عندما يتملثون في صورة بشر أو حيوانات وذلك لقدرتهم على التشكل فليس فيما قالوه ما يدل على الحلول أصلا والأمر الثاني أنه قياس الخالق على المخلوق وهو قياس مع الفارق فالله" ليس كمثله شيئ " ،وفي كلامهم السابق نوع تناقض فتارة يزعمون أن علي إله ثم أنه من أحمد كالضوء من الضوء وأن أحدهما سابق والثاني لاحق والمتأمل العبارة الأخيرة يدرك أن مفردات السابق واللاحق أو التالي هو اصطلاح الفلاسفة حيث يعتبرون أن العقل الكلي سابق والنفس الكلية هي التالي كما تقدم في باب الإلهيات .

قال ابن كثير رحمه الله: "في سنة 717هـ خرجت النصيرية عن الطاعة وكان من بينهم رجل سموه محمد بن الحسن المهدي القائم بأمر الله وتارة يدعي علي بن أبي طالب فاطر السموات والأرض - تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا - وتارة يدعى أنه محمد بن عبدالله صاحب البلاد وخرج من

[1] - الملل والنحل للشهرستاني ص 192- 193

كبار النصيريين الضلال وعين لكل إنسان منهم مائة ألف وبلادا كثيرة ونيابات وحملوا على مدينة جبلة فدخلوها وقتلوا خلقا من أهلها وخرجوا منها يقولون لا إله إلا علي ولا حجاب إلا محمد ولا باب إلا سلمان وسبوا الشيخين وصاح أهل البلد وا إسلاماه وا سلطاناه وا أميراه فلم يكن لهم يومئذ ناصر ولا منجد وجعلوا يبكون ويتضرعون إلى الله عز وجل فجمع هذا الضال الأموال فقسمها على أصحابه وأتباعه قبحهم الله أجمعين وقال لهم لم يبق للمسلمين ذكر ولا دولة ولو لم يبق معي سوى عشرة نفر لملكنا البلاد كلها ونادى في تلك البلاد إن المقاسمة بالعشر لا غير ليرغب فيه وأمر أصحابه بخراب المساجد واتخاذها خمارات وكانوا يقولون لمن أسروه من المسلمين قل لا إله إلا علي واسجد لإلهك المهدي الذي يحيي ويميت حتى يحقن دمك ويكتب لك فرمان وتجهزوا وعملوا أمورا عظيمة جدا فجردت إليهم العساكر فهزموهم وقتلوا منهم خلقا كثيرا وقتل المهدي أضلعهم ويوم القيامة يكون مقدمهم إلى عذاب السعير"[1]

ولعله من أعظم **تجليات** القول بالحلول وألوهية البشر ما نراه اليوم في سوريا حيث يعيد التاريخ نفسه بعد سبعة قرون ، إذ يبتلى أهل الشام بتسلط هذه الطائفة على رقابهم ، وقد عاين العالم كله ذلك من خلال التسجيلات والصور المسربة من سوريا حيث يجبر الناس على ترديد لا إله الا بشار فما يقومون به ليست أفعال منعزلة وغير مسؤولة بل هي تعبير عن معتقدات راسخة فقد يتعرض الإنسان إلى مواقف تجعله يخرج أضغانه ويبدي أسراره وما أحسن قول القائل

ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم .

"فعلي في نظرهم إله في الباطن إمام في الظاهر ،لم يلد ولم يولد ولم يمت ولم يقتل ولا يأكل ولا يشرب ،وهو الذي اتخذ محمدا ناطقا لذا فهو متصل به ليلا منفصل عنه بالنهار "[2] ومن دلّ على علي هو محمد لأنه جزء فاض منه كما يقول أحد النصيريين :" انه لا يدل على الله إلا من كان منه

[1] - ابن كثير البداية والنهاية ج14 ص83- 84

[2] -تاريخ الحركات الباطنية احمد الخطيب ص 342نقلا عن كتاب اسلام بلا مذاهب الدكتور مصطفى الشكعة ص 335

أو من نوره الخاص....ثم يضيف قائلا :ألستم تعلمون أن محمّدا دل على علي إذا كان منه أو من نوره "[1]

ولعلّ فيما تقدم إشارة إلى نظرية الفيض أو الصدور الأفلاطونية حيث يزعمون أن محمدا وسلمان الفارسي فاضا عن نور، فعلي بن أبي طالب هو بمثابة المبدع والإله، ومحمد هو بمثابة العقل الكلي وسلمان بمثابة النفس الكلية وهذا ما يؤكده الحراني في قوله :" إن الإله أبدع من نور ذاته نورا لا يحد ولا يعد ولا ينحصر ولا يبلغ إلى نهايته ولا ينتهي .....وهو العقل الذي هو حجابه ونبيه وصفيه وكلمته المتصلة بموجده ومبديه الذي هو الإله منذ ظهرت القدرة والمشيئة والإرادة وهو المشار إليه بالميم إليه التسليم ثم ظهر عن العقل الذي هو حجاب الله وصفته...النفس الكلية.....وأن الباب العظيم والسبب القديم هو النفس الكلية المخترعة من العقل الأول الذي هو حجاب الله حقا .....وهو في رتبة القمر.....واعلم ان الباب لا يظهر إلا بظهور الحجاب والحجاب لا يظهر إلا بظهور الباب لأن الباب مادته وكونه وذاتيته وفعله ....."[2]

يقول سليمان الاذني : " اعلم يا ولدي أن السماء هي ذات علي ابن أبي طالب وهي الجنة الباطنة..... واعلم أيضا أن الشمس هي السيد محمد وهو كل نبي ظهر في العالم من قبة الحنّ إلى آدم وإلى محمد كما أخبر بذلك شيخنا وسيدنا أبو عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي..... واعلم أيضا أن القمر هو سلمان الفارسي وهذه الكواكب هم الملائكة الذين كانوا قبل كون العالم وهم سبع مراتب إحداها تعلوا الأخرى وكبيرهم السيد المقداد الذي هو كوكب زحل واسمهُ ميكائيل وأما كوكب المشتري فهو أبو الدر واسمهُ إسرافيل وأما عبد الله ابن رواحة الانصاري فهو كوكب المريخ وهو عزرايل الملاك الذي يقبض أرواح العالم والدليل على ذلك أن النجم يختفي من مكانهِ حين مفارقة نفس الإنسان وأما عثمان بن مضعون النجاشي فهو كوكب الزهرة واسمهُ بالملائكة درديائيل وأما كوكب عطارد فهو قنبر بن كادان الدوسي واسمهُ بالملائكة صلصيائيل"[3] ولعل في هذا الكلام إسقاط

[1] - المصدر نفسه ص342نقلا عن كتاب الأصيفر ابو عبد الله بن شعبة الحراني

[2] -تاريخ الحركات الباطنية ص346 نقلا عن كتاب الأصيفر للحراني

[3] - الباكورة السليمانية دار الصحوة للنشر،القاهرة ، الطبعة الأولى ، 1990م. ص84-85-86

لنظرية المثل الأفلاطونية فهؤلاء الأشخاص الذين عدهم هم ممثولات للكواكب في العالم العلوي .

تعظيمهم للخمر : يعظم النصيريون الخمر ويرون أنها من النور ولزمهم من ذلك أن عظّموا شجرة العنب التي هي أصل الخمر فشجرة العنب مقدسة عندهم لا يجوز اقتلاعها لأن من ثمنها تصنع الخمر وهم يعظمون الخمر [1]

القول بالتناسخ :

ويقول الدكتور محمد الخطيب : " أن جميع الطوائف الإسماعيلية الباطنية تؤمن بالتناسخ ، إما بين الإنسان والإنسان كما تقول به الإسماعيلية والدرزية ، أو بين الإنسان والحيوان كما تقول به النصيرية الحركات الباطنية[2]. "

وأول من قال بالتناسخ وإنكار البعث عبد الله بن الحارث من أهل المدائن [3]

يعد القول بالتناسخ من الدعائم الرئيسة والأركان المهمة في المذهب النصيري، فهذا عندهم بديل البعث والقيامة.

قال النوبختي ملخصا لمذهب النصيرية حيث ينسب إليهم القول بالتناسخ: "وقد شذت فرقة من القائلين بإمامة علي بن محمد في حياته فقالت بنبوة رجل يقال له محمد ابن نصير النميري، وكان يدعي أنه نبي بعثه أبو الحسن العسكري، وكان يقول بالتناسخ والغلو في أبي الحسن ويقول فيه بالربوبية، ويقول بالإباحة للمحارم، ويحلل نكاح الرجال بعضهم بعضا في أدبارهم ويزعم أن ذلك من التواضع والتذلل، وأنه أحد الشهوات والطيبات، وأن الله عز وجل لم يحرم شيئا من ذلك وكان يقوي أسباب هذا النميري محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات"[4]

-الدكتور صابر طعيمة دراسات في الفرق مكتبة المعارف الرياض 1979 ص 44[1]

- تاريخ الحركات الباطنية احمد الخطيب ص 48[2]

- أطلس الفروق والمذاهب الاسلامية ص 24[3]

- فرق الشيعة للنوبختي ص 78[4] -

فالنصيرية تؤمن بتناسخ الأرواح وأن الأرواح عندما تفارق الجسم بالموت تتقمص ثوباً آخر، وهذا الثوب يكون على حسب إيمان هذا الشخص بديانتهم أو كفره بها.

وان كانوا لا يصرحون بالتناسخ لكنهم يلمحون إلى شيئ من هذا القبيل كخلود النفس وأنها تخضع للأكوار والأدوار وقد عبّر عن هذا المعنى عامر بن عامر في تائيته التي نسجها على منوال تائية ابن الفارض حيث يقول في باب المبدأ و المعاد :

ولي صورة محصورة القدر ضبطها ظهوري لعيني عند لبسي بردتي

فأبدوا بها في صورة بعد صورة وآخر ما يتلوه أول نشأتي

قيامتي الصغرى بخلعي و انما قيامتي الكبرى بتتميم دورتي

فأخفي زمانا عن مطالعة الورى وأبدو كما قد كنت في حال بدأتي

وذاك معادي في قيامتي التي أقوم لدى المعبود فيها بجثتي

وليس إذا حققت ذا بتناسخ فتختلف الأعيان في كل عودة

ولكن إفادته الحقوق مراتبا معينة يقضي بها سر وحدة

فنسخي وفسخي مثل مسخي باطل و رسخي لمنع فيه عودي بهيبتي

ولم تنعدم تلك النفوس وانّما تغيب وتعود تارة بعد تارة[1]

وفي الأبيات بيان لمعنى القيامة وهي إتمام عدد الدورات وهي سبعة عندهم بحيث يتقمص العبد صور مختلفة بحيث يظهر في كل دور في نفس جديدة وهو لا يسميه بتناسخ مادام أن الأعيان مختلفة لكنه قريب من مذهب التناسخ لأن الخلاف لا يعدو أن يكون لفظيا .

يقول صاحب الهفت الشريف :"أما علمت أن العذاب والرحمة قبل أن يحشروا ،وينقلبوا في هذه الدنيا في الناسوتية والمسوخية ،والتراكيب من

[1]-أربع مسائل إسماعيلية عارف تامر ص 93

بعد إليه ينقلبون ،قلت صدق سيدي ما عقابها إلا في يومي هذا قال :ثم نظر الى ابن ظبيان وقال : يايونس ماتقول أهل الكوفة في ابتداء الخلق ؟قال : يقولون أن الله خلق ابليس قبل ادم فقال :وبالله المستعان على ما يقولون كذبوا على الله هكذا إن الله سبحانه وتعالى خلق النور قبل الظلمة وخلق الخير قبل الشر وخلق الجنة قبل النار وخلق الرحمة قبل العذاب وخلق الأشباح قبل الأرواح ،وخلق الأرواح قبل الأبدان وخلق الأبدان قبل الموت ."..[1]

ومراد الجعفي أن العذاب والعقاب هو تقلبهم في صور شتى بين نسخ ومسخ حسب أعمالهم وهو صريح في إنكار عقيدة البعث والنشور والحساب والجزاء .

ولا شك في أن مثل هذا الكلام الخطير ما يهدم أحد أصول الإسلام وهي عقيدة المعاد والبعث والحساب والعقاب من الأساس وهذا عينه مذهب الملاحدة والزنادقة ،فكيف ينتسب من كان هذا مذهبه إلى الإسلام.

على هذا فهم يرون أن الثواب والعقاب ليسا في الجنة والنار، وإنما في هذه الدنيا[(2)].

ويعتقدون أن المؤمن بديانتهم يتحول عندهم سبع مرات قبل أن يأخذ مكانه بين النجوم لذلك يسمون علي أمير النحل أي أمير النجوم وأما الأرواح الشريرة فتحل في أجسام الحيوانات التي يعتبرونها نجسة كالخنازير وبنات اوى والقرود .

ومن هنا فإنهم يزعمون أن جميع ما في السماء من الكواكب فهي أنفس المؤمنين الصالحين منهم.

ومن هنا أيضاً فإنهم يلقبون علي بن أبي طالب بأمير النحل: أي أمير المؤمنين، أو أمير الكواكب والنجوم التي هي أرواح المؤمنين الصالحين.

---

1 -المفضل بن عمر الجعفي الهفت الشريف ص16تحقيق مصطفى غالب- ط2 –دار الأندلس بيروت 1988

2 -الحركات الباطنية ص355.

وأما الأرواح الشريرة فيعتقد النصيريون أنها تحل بالحيوانات النجسة كالكلاب، والذئاب، والخنازير، والقرود، وبنات آوى.[1]

والنصيرية عموما يؤمنون بأربعة أنواع من التناسخ وهي كما يلي:
النوع الأول : النسخ ، وهو انتقال الروح من جسم الآدمي إلى جسم آدمي آخر.
النوع الثاني : المسخ ، وهو انتقال الروح من جسم الآدمي إلى جسد حيوان.
النوع الثالث : الفسخ ، وهو خروج الروح من جسم الآدمي إلى جسد حشرة من حشرات الأرض.
النوع الرابع : الرسخ ، وهو انتقال الروح من جسم الآدمي إلى الشجر أو النبات أو الجمادات.

والنصيري لا يصيبه مسخ ولا فسخ ولا رسخ [2].

وقد تمسخ هذه الأرواح الشريرة في صور جامدة من معدن وحجر مثلاً، فَتُذاقُ بذلك حر الحديد، والحجر، وبرْدَه؛ فالجبال في معتقدهم: الجبابرة، والطواغيت الذين ظلموا أهل الحق الذين هم في زعمهم النصيرية وهذا ما يسمى بالرسخ .

وهناك نوع من أنواع التناسخ والتقمص عندهم وهو اعتقادهم بأن مرتكب الآثام منهم يعود إلى الدنيا بالتناسخ يهودياً، أو نصرانياً، أو مسلماً سنياً.[3]

والعجيب أنهم يجعلون المسلم السني بمنزلة النصراني واليهودي وربما أقل .

إباحة نكاح المحارم:

---

[1] -الحركات الباطنية لاحمد الخطيب ص 322
[2] -سليمان الحلبي طائفة النصيرية تاريخها وعقائدها ص88 دار السلفية 1984 ط2 السنة ص 88
[3] -المصدر نفسه ص 89

فقد نقل القلشندي عن النصيرية، بأنهم يقولون بشيوعية النساء، وقد قال عنهم: "وهي طائفة ملعونة، مرذولة، مجوسية المعتقد، لا تحرم البنات، ولا الأخوات، ولا الأمهات، قال: ويحكى عنهم في هذا حكايات"[1].

ولعلهم في هذا يستنون بمذهب مزدك المتهتك فهو من قال بشيوع النساء ،وقد تزوج أحد الأكاسرة بأخته عملا بمذهب مزدك الإباحي فلا عجب .

وهم ينظرون الى المراة نظرة احتقار وازدراء لذلك يستبيحون الزنا بنساء بعضهم بعضاً، ولا يتورع احدهم في تقديم امراته لضيفه لأن المرأة بزعمهم لا يكمل إيمانها إلا بإباحة فرجها لأخيها المؤمن، وفي ذلك اشترطوا أن لا يباح ذلك للأجنبي، ولا لمن هو ليس داخلاً في دينهم وهذا يسمونه بالحق الواجب والفرض اللازم فيحكي سليمان الاذني في كتابه قصة عايشها ولعلها من الأسباب التي جعلته يفارق دينهم فيقول : ثم بعد أيام قليلة سافرتُ إلى مدينة أنطاكية إلى قرية اسمها وادي الجرب، فصادفت شيخاً من الخاصة، وأضافني عنده، ولما أقبل الليل فرشوا لي فراشاً في موضع غرفةٍ خالية فلما كانت نحو الساعة الثانية وإذا بطارق يطرق الباب، ففتحته وإذا بامرأة دخلت إليَّ، وغلقت الباب، واضطجعت بجانبي وأنا متحيِّر منها ما أعلم ماذا كان غرضها، ثم بعد قليل جعلت تحادثني وقالت: أما تقبل الفرض اللازم، والحق الواجب؟

حينئذٍ جالت في عقلي كلمة الإمام المرشد، وعرفت أن الفرض اللازم والحق الواجب هو تقديم نسائهم لبعضهم.

وفي اليوم التالي كنت أفتكر في نفسي وأقول: إني خاطب بنت إمامهم، وكلما أتاني شيخ منهم فأنا ملتزم أن أقدمها لهُ حسب الفرض اللازم والحق الواجب؛ فهذا أمر عسير جداً، ولا أستطيع قبوله أبدا .[2]ً

ولا شك أن هذا أمر تأنفه الطباع السليمة والفطر الصحيحة وترفضه كل الشرائع والأديان فكيف نزلوا إلى هذا المستوى من الانحدار الأخلاقي

[1]- دراسات في الفرق صابر طعيمة ص45 نقلاً عن صبح الأعشى للقلشندي ج 251/13.
[2]-الباكورة السليمانية ص93- 94

،وهل يعقل من كان هذا حاله ان يكون مقاوما وممانعا فمن يتعبد الله بالتفريط في عرضه قد يتعبده بالتفريط في أرضه وما حديث الجولان عنا ببعيد .

العمل بالتقية :

ونظرا لخطورة ما يدعون غليه من أفكار وغرابة ما يدينون به من معتقدات فقد كانت السرية مذهبهم والتقية دينهم ،ولأنهم طائفة قليلة العدد ولا شوكة لها واضطرت الى العيش في كنف الأنظمة السنية في غالب الأحيان فقد كان التكتم والنفاق طوق نجاتها وسبل خلاصها وهم كسائر الفرق الباطنية الشيعية يتعبدون الله بممارسة التقية حيث يقول مصطفى غالب وهو اسماعيلي معاصر : "ونظام التقية يعني المحافظة على الأسرار المودعة في مصنفات أهل الحق باعتبارها من أسرار المبدع وأسرار الأنبياء، والأئمة والحكماء ،وجواهر علومهم العرفانية التي لا أذن لأحد في كشفها وإظهارها إلا عند أهلها ،ولا يسمح مطلقا بكشف القناع عنها إلا بين يدي صاحبها لقوله تعالى "إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها" [1]

وإن حاولت النصيرية أن تجد لنفسها ذرائع وأدلة للتكتم على مذهبها والتستر على أصول معتقدها فهو في الحقيقة مجاراة لمذاهب الفرس القديمة والتي تعرض أربابها إلى الاضطهاد والتنكيل من طرف ملوك الفرس وقد سبقت الإشارة إلى مقتل مزدك على يد بهرام وماني على يد كسرى ،كما أن اعتماد السرية والتكتم هو دأب اليهود على ممر الزمان وقد كان لليهود حضور في الفكر الباطني بداية من ظهور شخصية عبد الله بن سبا من يهود صنعاء باليمن .

يقول الدكتور عبد الله محمد الغريب بهذا الصدد :"فالزردشتيون استمروا يعملون وينشطون بشكل سري بعد أن تعرضوا للاضطهاد على أيدي أتباع (مزدا) ، والمانوية تحولت الى حركة سرية بعد أن بطش بهرام بن هرمز بهم ، والمزدكية أصبحت دعوة سرية بعد أن نكل بهم أنو شروان .

[1]-مصطفى غالب مقدمة مفاتيح الغيب ص 7

ومع السرية كانت أديان الفرس منظمة تنظيما هرميا دقيقا يراعون به ظروف العصر ، وكانت تنظيماتهم من القوة بحيث تمكنهم من الوصول الى قصـــــــــور الحكـــــــــام فـــــــــي حـــــــــالات ضعفهم ،أما في غير حالات الضعف فالحكام من أفراد القبيلة التي ترعى شؤون الدين .

تاريخ أديان الفرس يمتاز بالفتن وكثرة الثورات ومن الأمثلة على ذلك أن ثورة عارمة وقعت بين بابك وجوتجهر ، ثم نشبت فتنة بين سابور و أزدشير .

وفي هذه الفتن والمعارك كان الأخ يقتل أخاه ، والأب ابنه بدون رحمة ولا شفقة ، وعندما يشعر ملوك فارس بأن الخطر قد أحاط بهم كانوا ينقضون على من يزعمون أنهم أنبياء لهم ، فبهرام بن هرمز قتل ماني ، وكسرى أنو شروان قتل مزدك .

وعلى ضوء معرفتنا لهذه الحقيقة نعلم أسباب الثورات والفتن في البلاد التي يسيطر عليها المجوسيون في عصرنا هذا ، كما نعلم لماذا كانوا وما زاولوا يصفون خصومهم عن طريق الاغتيالات ."[1]

والملاحظ ان اسلوب الاغتيالات يعتمدونه في زمن ضعفهم لتصفية القادة أما إذا صار لهم شوكة وقوة فأنهم يعتمدون أسلوب الإبادة والترويع كما كان الامر في عهد القرامطة وكما نراه اليوم في العراق والشام .

وقد أورد الدكتور صابر طعيمة ملخصا لرسالة عن تعاليم النصيرية على طريقة سؤال وجواب، وكان قد نقلها عن الدكتور عبد الرحمن بدوي، في كتابه مذاهب الإسلاميين وقد ذكر الدكتور عبد الرحمن بدوي أن أصلها مخطوط في المكتبة الأهلية بباريس وهذا جزء منها :

_ من الذي خلقنا؟

_ علي بن أبي طالب أمير المؤمنين.

-من أين نعلم أن علياً إله؟

_ مما قاله هو عن نفسه في خطبة البيان وهو واقف على المنبر إذ قال: أنا سر الأسرار، أنا شجرة الأنوار، أنا دليل السموات، أنا سائق الدعوة، أنا شاهد العهد، أنا زاجر القواصف، أنا محرك العواصف، أنا مزن السحائب،

[1] - وجاء دور المجوس عبد الله بن محمد غريب ص 33

أنا حجة الحجج، أنا جوهر القدم، أنا الأول والآخر، أنا الباطن والظاهر، أنا نور الأئمة البررة.

_ من الذي دعانا إلى معرفة ربنا؟

_ محمد كما قال هو في خطبة ختمها بقوله: إنه أي علي ربي وربكم.

_ إذا كان هو _أي علي_ الرب فكيف تجانس مع المتجانسين؟ أي اتخذ صورة إنسانية.

_ إنه لم يتجانس بل احتجب في محمد في دور تحوُّله، واتخذ اسم علي.

_ كم مرة تحول ربنا؛ ليتجلى في صورة إنسانية؟

_ سبع مرات فقد احتجب:

_ في شخص آدم باسم هابيل.

_ وفي شخص نوح باسم شيث.

_ وفي شخص يعقوب باسم يوسف.

_ وفي شخص موسى باسم يوشع.

_ وفي شخص سليمان باسم آصف.

_ وفي شخص عيسى باسم باطرة.

_ وفي شخص محمد باسم علي.

_ كيف احتجب هكذا ثم ظهر؟

_ هذا سر تحوله الذي لا يعلمه إلا الله _ تعالى _ كما قال هو.

_ هل سيظهر مرة أخرى؟

_ نعم كما هو بدون تحول في مجده وجلاله.

_ ما الظهور الإلهي؟

_ هو ظهور الباري بواسطة الاحتجاب بالإنسانية، وألطف غلاف في جوف غلاف.

_ وضح هذا أكثر؟

_ لما دخل (المعنى) في (الباب) احتجب (بالاسم) واتخذه لنفسه كما قال مولانا جعفر الصادق.

_ لكن ما (المعنى) وما (الاسم) وما (الباب)؟

_ هؤلاء الثلاثة لا ينفصلون كما في قولنا: بسم الله الرحمن الرحيم؛ فالله هو (المعنى) والرحمن هو (الاسم) والرحيم هو(الباب) وهكذا...

_ ما القرآن؟

_ هو البشرى بظهور مولانا في صورة بشرية.

_ من الذي علم محمد القرآن؟

_ مولانا الذي هو (المعنى) على لسان جبريل.

_ هل يحق للمؤمن أن يبوح لإنسان آخر بسر الأسرار؟

_ لا يبوح به إلا لإخوانه في الدين وإلا باء بسخط الله.

_ ما هو القدَّاس الأول؟

ج _ هو الذي يقام قبل دعاء النوروز.

_ وما دعاء النوروز؟

_ تقديس الخمر في الكأس.

_ مَنْ مِن شيوخنا نشر الدعوة في كل البلاد؟

_ أبو عبد الله الحسين بن حمدان.

_ لماذا نسمى نحن باسم (الخصيبية)؟

_ لأننا نتبع تعاليم شيخنا أبي عبد الله الحسين بن حمدان الخصيبي.[1]

1-طائفة النصيرية سليمان الحلبي ص66-70

ثم عقب على هذه الأسئلة والأجوبة بقوله :"ونكتفي لهذه الأسئلة مع إجاباتها المختصرة ،ولعلها ساعدت في تكوين صورة واضحة عن الخرافات ،والأساطير الوثنية التي تضمنها هذا المذهب الملفق "[1]

ولا يحتاج الأمر إلى كثير تأمل وتدبر ليدرك أن النصيرية دين وضعي مزيج من شرائع وثنية وسماوية وفلسفات فارسية ثانوية أفلوطينية وأن انتسابها إلى الإسلام كان من باب التستر والمداراة والكيد والتصنع .

المبحث الثالث: علاقة النصيرية بالاستعمار وفتوى ابن تيمية في الطائفة

[1] -طائفة النصيرية سليمان الحلبي - 70

علاقة النصيرية بالاستعمار الفرنسي :

ويمكن ادراك مدى متانة العلاقات بين النصيرية والاحتلال الفرنسي من خلال هذه الوثيقة الخطيرة التي نشرها الدكتور احمد الخطيب نقلا عن الدكتور مجاهد الأمين في كتابة " العلويون أو النصيرية " "وقد كشف عنها حديثا في سجلات وزارة الخارجية الفرنسية رقم 3547 وتاريخها 15/ 6/ 1936وثيقة خطيرة تتضمن عريضة رفعها زعماء الطائفة النصيرية في سوريا إلى رئيس الوزراء الفرنسي يلتمسون فيها عدم جلاء فرنسا عن سوريا ويشيدون باليهود الذين جاءوا إلى فلسطين ويؤلبون فرنسا ضد المسلمين ووقع علي الوثيقة سليمان الأسد ومحمد سليمان الأحمد ومحمود أغا جديد وعزيز أغا هواش وسليمان المرشد ومحمد بك جنيد وفيما يلي نص الوثيقة نورده لأهميته :

دولة ليوم بلوم رئيس الحكومة الفرنسية :

إن الشعب العلوي الذي حافظ على استقلاله سنة فسنة بكثير من الغيرة والتضحيات الكبيرة في النفوس هو شعب يختلف في معتقداته الدينية وعاداته وتاريخه عن الشعب المسلم (السني) ولم يحدث في يوم من الأيام أن خضع لسلطة من التدخل وإننا نلمس اليوم كيف أن مواطني دمشق يرغمون اليهود القاطنين بين ظهرانيهم على عدم إرسال المواد الغذائية لإخوانهم اليهود المنكوبين في فلسطين وإن هؤلاء اليهود الطيبين الذين جاءوا إلى العرب المسلمين بالحضارة والسلام ونثروا على أرض فلسطين الذهب والرخاء ولم يوقعوا الأذى بأحد ولم يأخذوا شيئا بالقوة ومع ذلك أعلن المسلمون (السنيون) ضدهم الحرب المقدسة بالرغم من وجود إنكلترا في فلسطين وفرنسا في سورية إنا نقدر نبل الشعور الذي يحملكم على الدفاع عن الشعب السوري ورغبته في تحقيق استقلاله ولكن سوريا لا تزال بعيدة عن الهدف الشريف خاضعة لروح الإقطاعية الدينية للمسلمين (السنة) وكل الشعب العلوي الذي مثله الموقعون على هذه المذكرة نستصرخ حكومة فرنسا ضمانا لحريته واستقلاله ويضع بين يديها مصيره

ومستقبله وهو واثق أنه لا بد واجد لديهم سندا قويا لشعب علوي صديق قدم لفرنسا خدمات عظيمة"[1]

ولكي نصل الماضي بالحاضر وجب التركيز على الموقعين على الوثيقة أحدهم سليمان الأسد وهو والد حافظ الأسد وجد بشار الرئيس الحالي لسوريا وهذا الشخص الذي يستجدي الفرنسيين للبقاء في سوريا ويغدق على اليهود الغاصبين والمحتلين بأرق وألطف العبارات أصبح ابنه ممانعا ومقاوما والحقيقة أن الأمر لا يختلف فما أشبه الليلة بالبارحة إنه اعتماد أسلوب التقية والسرية وانتهاج طرق الفرق الباطنية في تحقيق الطموحات السياسية بالتحالف مع الأعداء ،ويؤكد ما نشره سابقا أحد دعاتهم وأقطابهم المعاصرين فيقول في هذا الصدد :

"وقد كانت فرنسا تؤمل ميل جميع المسلمين إليها وقد اعترف رجالها مرات عديدة أمام الجمعية العلوية بأنهم يعلقون أمالهم على الشعب العلوي وقد سبق القول أن العلويين ظهروا بالرأي على الأتراك لأنهم علموا حق العلم أنه لا سبيل للتخلص من أمال الأرمن والفوضى القريبة الملموسة إلا بالالتجاء لحماية فرنسا " [2]

ويجتهد في موضع اخر من الكتاب لإيجاد مسوغا للخيانة والغدر وفي محاولة منه لتبرير ما لا يبرر فيقول :" ولما كان لابد للضعيف المظلوم من التوسل بالخيانة لكي يحافظ على حقوقه أويستردها وهذا أمر طبيعي يساق إليه كل إنسان كان العلويون كلما غصب السنيون أموالهم يتوسلون بغدر السنيين عند سنوح الفرصة " [3].

والعجيب أن الخيانة عندهم أمر طبيعي فإذا كان الحامل لهم على الخيانة والغدر هو ضعف قوتهم وقلة حيلتهم حينها فما الذي حمل عائلة الأسد الحاكمة اليوم في سوريا على التحالف مع الروس والأمريكان في حرب الخليج الأولى ومهادنة الصهاينة المحتلين للجولان منذ أربعين عاما والجواب إنها العقيدة الباطنية وتناقضاتهم الفكرية والعقائدية والاجتماعية

[1] -الحركات الباطنية في العالم الاسلامي ص 335
[2] -تاريخ العلويين ص 421
[3] -المصدر نفسه ص 400

مع المسلمين والحقد الطائفي الذي يكنونه لمجتمعهم والذي تنوء بحمله الجبال الراسيات وهم يتوارثون هذا الحقد الدفين وهذه العقد النفسية جيلا بعد جيل .

وقد وجدت أن الدكتور عبد الرحمن بدوي لخص مذهب النصيرية وأشار إلى أغلب معتقداتهم وأصولها المستمدة منها في قوله :" أما الجذور الفكرية والعقائدية لهذه الطائفة: فقد استمدوا معتقداتهم من الوثنية القديمة، وقدسوا الكواكب والنجوم وجعلوها مسكنًا للإمام علي، تأثروا بالأفلاطونية الحديثة ونقلوا عنهم نظرية الفيض النوراني على الأشياء، وبنوا معتقداتهم على مذاهب الفلاسفة المجوس، وأخذوا عن النصرانية، ونقلوا عن الغنوصية النصرانية، وتمسكوا بما لديهم من التثليث والقداسات وإباحة الخمور، كما نقلوا فكرة التناسخ والحلول عن المعتقدات الهندية والأسيوية الشرقية، وهم من غلاة الشيعة مما جعل فكرهم يتسم بكثير من المعتقدات الشيعية، وبالذات تلك المعتقدات التي قالت بها الرافضة بعامة، والسبئية- أي: جماعة عبد الله بن سبأ اليهودي- بخاصة.وهذه النظرية عينها تظهر في مذاهب الإسماعيلية بطريقة منطقية منظمة إلا أن الكلام فيه ليس عن تجسد الروح القدس أو الله تجسدا دوريا وإنما عن تجلي العقل الكوني في أدوار على صورة الناطق متأثرا في ذلك بنظرية الصدور الأفلاطونية المحدثة وهذه النظرية وجدت أحدث تعبير عنها لدى باب ،فإنه يقول عن نفسه كنت في نوح نوحا ،وفي يوم إبراهيم إبراهيم وفي يوم موسى موسى وفي يوم عيسى عيسى وفي يوم محمد محمدا....." [1]

فتوى ابن تيمية في النصيرية :

يقول ابن تيمية في فتواه عن النُّصَيْرِيَّة :"هؤلاء القوم المسمون بالنصيرية هم وسائر أصناف القرامطة الباطنية أكفر من اليهود والنصارى ;بل وأكفر من كثير من المشركين وضررهم على أمة محمد صلى الله عليه وسلم أعظم من ضرر الكفار المحاربين مثل كفار التتار والفرنج وغيرهم ;

[1] -عبد الرحمن بدوي التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية ص237 مطبعة الاعتماد مصر 1940

فإن هؤلاء يتظاهرون عند جهال المسلمين بالتشيع وموالاة أهل البيت وهم في الحقيقة لا يؤمنون بالله ولا برسوله ولا بكتابه ولا بأمر ولا نهي ولا ثواب ولا عقاب ولا جنّة ولا نار ولا بأحد من المرسلين قبل محمد صلى الله عليه وسلم ولا بملة من الملل السالفة بل يأخذون كلام الله ورسوله المعروف عند علماء المسلمين يتأولونه على أمور يفترونها ; يدعون أنها علم الباطن ; من جنس ما ذكره السائل ومن غير هذا الجنس ; فإنه ليس لهم حد محدود فيما يدعونه من الإلحاد في أسماء الله تعالى وآياته وتحريف كلام الله تعالى ورسوله عن مواضعه ; إذ مقصودهم إنكار الإيمان وشرائع الإسلام بكل طريق مع التظاهر بأن لهذه الأمور حقائق يعرفونها من جنس ما ذكر السائل ومن جنس قولهم : إن " الصلوات الخمس "معرفة أسرارهم و " الصيام المفروض " كتمان أسرارهم " وحج البيت العتيق "زيارة شيوخهم وأن (يدا أبي لهب هما أبو بكر وعمر وأن) النبأ العظيم والإمام المبين هو علي بن أبي طالب "[1]

والشيخ يبين حقيقة مذهبهم المناقض لدين الأنبياء والرسل ،و أنه في الأصل تحريف لما علم من دين الإسلام بالاضطرار وطريقهم إلى التتغيير والتبديل هو التأويل الذي هو عند ابن تيمية تحريف ،ثمّ بين أمثلة من تأويلاتهم التي لم يشهد لها نقل صحيح ولا عقل صريح .

ولهم في معاداة الإسلام وأهله وقائع مشهورة وكتب مصنفة فإذا كانت لهم مكنة سفكوا دماء المسلمين ; كما قتلوا مرة الحجاج وألقوهم في بئر زمزم وأخذوا مرة الحجر الأسود وبقي عندهم مدة وقتلوا من علماء المسلمين ومشايخهم ما لا يحصي عدده إلا الله تعالى وصنفوا كتبا كثيرة مما ذكره السائل وغيره وصنف علماء المسلمين كتبا في كشف أسرارهم وهتك أستارهم ; وبينوا فيها ما هم عليه من الكفر والزندقة والإلحاد الذي هم به أكفر من اليهود والنصارى ومن براهمة الهند الذين يعبدون الأصنام .

وما ذكره السائل في وصفهم قليل من الكثير الذي يعرفه العلماء في وصفهم . ومن المعلوم عندنا أن السواحل الشامية إنما استولى عليها النصارى من

[1] -مجموع الفتاوى لابن تيمية حققه عبد الرحمن بن محمد قاسم –مجمع الملك فهد لطباعة 2004 ج/35 ص 150- 150

جهتهم وهم دائما مع كل عدو للمسلمين ; فهم مع النصارى على المسلمين . ومن أعظم المصائب عندهم فتح المسلمين للسواحل وانقهار النصارى ،بل ومن أعظم المصائب عندهم انتصار المسلمين على التتار" وهو يقصد الباطنية على اختلاف فرقهم المنضوون تحت فرقة الإسماعيلية لأنه يعتبر النصيرية امتدادا للقرامطة وللرافضة المنتسبين للتشيع في إشارة منه إلى سقوط بغداد بتسهيل من نصير الدين الطوسي الشيعي الذي كان وزير للخليفة العباسي وكان يراسل التتار ويغريهم بغزو بغداد كما ذكره أصحاب السير .

ويضيف :" وشرح مقاصدهم يطول وهم كما قال العلماء فيهم : ظاهر مذهبهم الرفض وباطنه الكفر المحض . وحقيقة أمرهم أنهم لا يؤمنون بنبي من من الأنبياء والمرسلين ; لا بنوح ولا إبراهيم ولا موسى ولا عيسى ولا محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ولا بشيء من كتب الله المنزلة ; لا التوراة ولا الإنجيل ولا القرآن . ولا يقرون بأن للعالم خالقا خلقه ; ولا بأن له دينا أمر به ولا أن له دارا يجزي الناس فيها على أعمالهم غير هذه الدار .

وهم تارة يبنون قولهم على مذاهب الفلاسفة الطبيعيين أو الإلهيين وتارة يبنونه على قول المجوس الذين يعبدون النور ويضمون إلى ذلك الرفض "[1]

وهو هنا يبين حقيقة معتقدهم معتقدهم في الأنبياء والشرائع ثم يضيف ": ويحتجون لذلك من كلام النبوات : إما بقول مكذوب ينقلونه كما ينقلون عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : أول ما خلق الله العقل والحديث موضوع باتفاق أهل العلم بالحديث ; ولفظه " إن الله لما خلق العقل فقال له : أقبل فأقبل . فقال له : أدبر فأدبر_ فيحرفون لفظه فيقولون " أول ما خلق الله العقل " ليوافقوا قول المتفلسفة أتباع أرسطو في أن أول الصادرات عن واجب الوجود هو العقل . وإما بلفظ ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم فيحرفونه عن مواضعه كما يصنع أصحاب " رسائل إخوان الصفا ونحوهم فإنهم من أئمتهم ..... وفيه من الاستهزاء بالصلاة والزكاة والصوم والحجّ ومن تحليل نكاح ذوات المحارم وسائر الفواحش : ما يطول

[1] - مجوع الفتاوى لابن تيمية حققه عبد الرحمن بن محمد قاسم –مجمع الملك فهد لطباعة 2004 ج/35ص 153

وصفه . ولهم إشارات ومخاطبات يعرف بها بعضهم بعضا ، وهم إذا كانوا في بلاد المسلمين التي يكثر فيها أهل الإيمان فقد يخفون على من لا يعرفهم وأما إذا كثروا فإنه يعرفهم عامّة النّاس فضلا عن خاصّتهم "[1]

ومن خلال كلامه يظهر أنه عالم بأصولهم الفلسفية خاصة مذاهبهم في الإلهيات والقول العقل الكلي والنفس الكلية وقد رد عليهم كما أشرنا سابقا في كتابه منهاج السنة النبوية ،كما بين أنهم إباحيون متحررون من كل الشرائع والأديان ،ولا يتورعون في إظهار باطلهم والدعوة إليه ،بل وإلزام الناس به ،إذا صارت لهم شوكة ومنعة .

ويضيف :" وأما استخدام مثل هؤلاء في ثغور المسلمين أو حصونهم أو جندهم فإنه من الكبائر، وهو بمنزلة من يستخدم الذئاب لرعي الغنم؛ فإنهم من أغش الناس للمسلمين، ولولاة أمورهم، وهم أحرص الناس على فساد المملكة والدولة، وهم شر من المخامر الذي يكون في المعسكر؛ فإن المخامر مرتد يكون له غرض إما مع أمير العسكر وإما مع العدو، وهؤلاء مع الملة ونبيها ودينها وملوكها وعلمائها وعامتها وخاصتها، وهم أحرص الناس على تسليم الحصون إلى عدو المسلمين، وعلى إفساد الجند على ولي الأمر، وإخراجهم عن طاعته.

والواجب على ولاة الأمور قطعهم من دواوين المقاتلة؛ فلا يتركون في ثغر ولا في غير ثغر؛ فإن ضررهم في الثغر أشد، وأن يستخدم بدلهم من يحتاج إلى استخدامه من الرجال المأمونين على دين الإسلام، وعلى النصح لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، بل إذا كان ولي الأمر لايستخدم من يغشه وإن كان مسلماً، فكيف بمن يغش المسلمين كلهم؟

ولايجوز تأخير هذا الواجب مع القدرة عليه، بل أي وقت قدر على الاستبدال بهم وجب عليه ذلك " [2].

وكأنّ الشيخ يتحدث عن واقعنا اليوم فمن يتأمل المشهد السياسي في بلاد الشّام ويرصد التاريخ لاشك أنه سيدرك دور النصيرية

---

[1] -المصدر نفسه ص 154

[2] - المصدر نفسه ص 155- 156

والدرزية في تسليم الجولان إلى إسرائيل ،وإلحاق الهزائم والنكسات المتتالية في الحروب العربية الإسرائيلية فقد أماط ضابط استخبارات الجولان اللثام عن خيانات النصيرية وإثبات مسؤولية حافظ الأسد المباشرة في سقوط الجولان حيث تم تسليمه من طرف وزير الدفاع آنذاك حافظ الأسد ابن سليمان الأسد الذي تحدثنا عنه سابقا في الوثيقة المسربة من وزارة الخارجية الفرنسية ،وقد سار على درب أبيه وطائفته الباطنية بحيث أبرم صفقة سرية مع المحتل الإسرائيلي يجري بموجبها التّخلي عن الجولان ،مقابل حماية حكمه من أي انقلاب عسكري محتمل وأن يظل بطلا قوميا في نظر الرأي العام العربي أي في حالة حرب مع إسرائيل ظاهريا فقط.[1]

[1]- خليل مصطفى سقوط الجولان ص244 دار النصر للطباعة الإسلامية شبرا مصر 1980

الخاتمة

إنّ النـزعة الغنوصية أو الفكر الباطني لم يعد مسألة تاريخية عفا عليها الدهر بل هو متجدد ومتطور ويسجل حضوره في كل مكان وزمان إلا أنه يلبس لكل مرحلة لباسها فيتغير الشكل دون أن يؤدي ذلك إلى الإخلال بالمضمون إذ العبرة بالمقاصد والمعاني لا بالألفاظ والمباني فلا يليق بالمفكر وطالب الفلسفة أن يتوقف عند الشعارات الرنانة والكلمات الخادعة ولذلك فإن الحديث عن هذه الظاهرة الفكرية والفلسفية هو معالجة لواقع لا زلنا نعاين آثاره الفكرية والسياسية فقد استثمرت هذه الحركات في مظلومية أهل البيت ردحا من الدهر وجعلت منها قميص عثمان لتتخذها طريقا ووسيلة لتحقيق طموحاتها السياسية ، كما اتخذت هذه الفرق الباطنية من فكر العروبة والقومية قناعا لتخفي وراءه طائفيتها وباطنيتها فقد استطاعت أن تركب تيار القومية العربية متسترين خلف حزب البعث الاشتراكي وقد أثبتت الأيام والتجارب أن الباطني ابن طائفته فوطنه هو الطائفة ومصلحتها مقدمة على كل المصالح ولعل في تحالفهم مع التتر قديما والصليبيين واستقوائهم بالفرنسيين والروس ،والأمريكان حديثا لأكبر دليل على أن ادعاءاتهم باطلة وما يرفعونه من شعارات ما هي إلا ضرب من ضروب الخداع والتقية حتى إذا سنحت الفرصة لم يرقبوا في مؤمن إلاّ ولا ذمّة ،وهذا بشهادة علماء الإسلام المعتبرين كالبغدادي والغزالي وابن تيمية وابن الجوزي وسعد القمّي وهو من علماء ومؤرخي الشيعة الإمامية وحتى المعاصرين منهم من أبناء الطائفة النصيرية كما اعترف بذلك محمد أمين غالب الطويل في كتابه تاريخ العلويين وقد تقدم كلامه .

أن المذاهب الإسماعيلية والباطنية فيها دعوة مبطنة إلى وحدة الأديان وإن كانت لا تصرح بذلك باعتبار أنها نهلت من معارف وروافد كل الملل والنحل وبذلك فهي لا تختلف عن شعارات الماسونية اليوم التي تدعو في حقيقتها إلى تجاوز كل الأديان وإبطالها باسم مبادئ ذات نزعة إنسانية عالمية ظاهرها فيه الرحمة وباطنها من قبله العذاب .

من خلال تتبع الحركات الباطنية ، فإن العنصر البارز فيها الذي كان له عظيم الأثر في نشأة الحركات الباطنية هو العنصر الأجنبيي ، فغالبية المؤسسين والمنظرين للحركات الباطنية هم من العجم إن لم يكن جميعهم، وعلى وجه الخصوص الفرس ، أو أنهم أصحاب ديانات سابقة كالسمنية ، أو المانوية أو الزرادشتية أو اليهودية مما لا يستبعد عنصر المؤامرة والكيد الذي تحركه الشعوبية المقيتة خاصة إذا علمنا ما لحق الفرس من ذل، وضعف بعد عز، وقوة بعد أن زالت دولتهم التي كانت تقتسم الأرض مع الرومان، فصارت الى هذا الحال، وبلغ بهم الأمر إلى أن سبيت بنات كسرى، وقد كان الفرس أهل كبر واستعلاء ويرون أن العرب أحقر وأصغر شأنا فكبر الخطب في نفوسهم وعظمت المصيبة وانكسرت شوكتهم وذهبت ريحهم فلم يبق لهم إلا الكيد والمؤامرة فعمدوا إلى إفساد دين المسلمين بعد أن عرفوا قوة هذا الدين ،وتماسكه فتظاهروا بالدخول في الإسلام وقد كانوا أمّة متمدنة عالمة بالفلسفة ، ولديهم اطلاع واسع بأقوال الحكماء القدامى، فبثوا أفكارهم لزعزعة عقائد المسلمين، فكان هذا بداية لحرب إديولوجية عقائدية عساهم أن يحققوا بالكيد ، والتدبير ما عجزوا عنه بالعدّة ،والعتاد.

ويظهر ذلك جليا في تقديس سلمان الفارسي الذي ينزلونه منزلة رب الناس بينما يتقربون إلى الله ببغض الشيخين ولعنهما وسبهما ولهم في ذلك أدعية مأثورة وصيغ معروفة .

كما أود أن أنبه على أن الفكر الغنوصي لم تخل منه حضارة ولم يسلم منه دين ، إلا أنّ الدوافع، والأسباب مختلفة فتأثر اليهودية بالغنوصية كما برز عند فيلون اليهودي كان للتوفيق بين نصوص التوراة المحرفة التي كانت تتسم بالسذاجة والبساطة والتناقض وبين أفكار الفلاسفة الذين سخروا من هذه النصوص ، فقد كانت فلسفة فيلون هي محاولة لبعث النصوص التوراتية من جديد بإخضاعها للتأويل للتوفيق بين أراء الفلاسفة وبين ما تضمنته النصوص فكان هذا بمثابة إنقاذ للديانة اليهودية من الاندثار والجمود، ولم يكن القصد هدم اليهودية أو نقضها من أساسها ،ومثله حصل في الديانة المسيحية فقد كان للفلسفة المشّائية اثر

في الفكر المسيحي وقد تجسد ذلك في فلسفة توما الإكويني الذي حاول أن يوفق بين الفلسفة والدين لضمان الاستمرارية في عصر بدأت أوربا المسيحية تتحرر من سلطة الكنيسة بفعل تأثير فلسفة الأنوار وظهور النزعة الإنسانية في الوسط المسيحي والأوربي الذي أصبح يفضل خطاب العقل على النقل .

إن ما تقرر عند هذه الحركات الباطنية من عقائد وأصول في الإلهيات والإمامة والنبوات والمعاد يتعارض كلية مع أصول الإسلام وما ثبت في نصوص الكتاب والسنة وغاية ما في الأمر أنهم عمدوا إلى النصوص فحاولوا تحويرها وتأويلها بما يتناسب مع فلسفاتهم وأفكارهم الدخيلة والمستنسخة من الأفلاطونية المحدثة أو اليونانية أو الفارسية فلبّسوا الفلسفة لباس الدين ووظفوا المصطلحات الدينية ليسوّقوا بها مصطلحاتهم الفلسفية حتى لا يستوحش الناس ،ويحصل الاستئناس .

إن ما حصل للإسلام من اختراق اديولوجي وفكري للمنظومة العقائدية والأخلاقية يندرج تحت ما يسمى بالصراع الإديولوجي أو صراع الحضارات ،وقد تعرضت المسيحية إلى هذا الاختراق على يد بولس اليهودي الذي ادّعى النصرانية ليعمد إلى إفساد دين النصارى وأصبحت النصرانية دين يقول بالحلول وتعدد الآلهة متأثرا بالأصول الوثنية الرومانية واليهودية .

تصريحات مسؤولي الثّورة الإيرانية على أن مجد فارس سيعود عاجلا أم أجلا تكشف الأبعاد الفارسية لما يسمى بالثورة وأن شعار الثورة الإسلامية أو المقاومة والممانعة وحتى شعار القومجية العربية التي يتستر خلفه حزب البعث الاشتراكي في سوريا إنما للتدليس على السذج والعامّة لأنّه عند ساعة الجد سيذوب كل شيئ وتبقى الطائفة والمذهب والعرق .

كما لفت انتباهي أثناء البحث عناية المستشرقين بالفرق الباطنية سواء كانت صوفية او إسماعيلية وتأليفهم الكتب والرسائل مع إبداء

التعاطف وأحيانا الانحياز التّام وقد لمست ذلك في كتاب أصول الإسماعيلية والقرمطية لبارنار لويس ،وهنري كوربان وايفانوفا المستشرق الروسي ،فقد كانت الحركات الباطنية تصور من طرفهم على أنها أقليات مضطهدة فكريا واجتماعيا وما قامت به لا يخرج عن إطار الحركات الثورية التي تسعى إلى التخلص من الاضطهاد وتسلط الأوليغارشية السنية على حدّ زعمهم ،وهذا التعاطف من طرف هذه الفئة المعروفة بعدائيتها للحضارة العربية الإسلامية يجعل هذه الحركات في موقع التهمة والارتياب ،وهذا مدخل وباب شر يدخل من قبله الاستعمار الحديث باسم حماية الأقليات المضطهدة ومن استقرأ الواقع أدرك ذلك .

وقد اتضح لي من خلال هذا البحث المتواضع مدى خطورة التأويل الباطني، وجنايته على نصوص الوحيين ودوره في إبطال الأديان وهدم الشرائع والالتفاف على كلام الأنبياء والرسل ،فما وجد الزنادقة والملاحدة والمندسين سلاحا يواجهون به الأمّة أفضل من سلاح التأويل وما عرفته الأمة الإسلامية من فرقة وتشتّت إلا من قبل التأويل فما خرجت الخوارج ولا اعتزلت المعتزلة ولا تقرمطت الشيعة إلا بسبب التأويل وما عرفت الأمّة القول بالحلول ووحدة الوجود إلا من باب التأويل وقد سمّوا التلاعب بالنصوص وتمييع الحقائق وتكذيب الشرائع علما وعرفانا ووقوفا على الأسرار وسبرا للأغوار .

المصادر:

- القران الكريم برواية حفص عن نافع ،مجمع الملك فهد بن عبد العزيز للطباعة ، المدينة المنورة ، 1429ه/2008م.
- ابن تيمية مجموع الفتاوى، تح: عامر الجزار –أنور الباز ج/4 ، دار الوفاء ،المنصورة مصر
- ابن تيمية ،مجموع الفتاوى ج/35 ، تح: عبد الرحمن بن محمد قاسم ،مجمع الملك فهد للطباعة، 2004.
- ابن تيمية، بغية المرتاد ،تح:موسى الدويش، مكتبة العلوم والحكم،ط3،المدينة المنورة 2001
- ابن تيمية، منهاج السنة النبوية ، تح :د.محمد رشاد سالم ،مؤسسة قرطبة ، 1406ه.
- ابن سينا ،تح :مصطفى غالب ، منشورات دار ومكتبة دار الهلال ،بيروت –لبنان،1979.
- ابن كثير ،البداية والنهاية، دار ابن كثير، بيروت ط2 ، 2010 ج/14.
- أبو حامد الغزالي، فضائح الباطنية ، ،المكتبة العصرية ، صيدا-بيروت ،2001
- أربع مسائل إسماعيلية، تح: عارف تامر ،دار مكتبة الحياة، ط2 بيروت 1978
- أرسطو -طاليس ، الايضاح للخير المحض ، تح: عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت ،1977 .
- الإمام الذهبي، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، ،ج15 ، 2001.

- الإمام عبد الرحمن بن الجوزي، القرامطة ، تح: محمد الصباغ - بتصرف ،دار الطباعة ،المكتب الاسلامي . ط10،دمشق 1981
- الباكورة السليمانية في كشف أسرار الديانة النصيرية سليمان أفندي الأذني.
- تقي الدين المقريزي ، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ،تح: جمال الدين شيّال ، ،ط2 ،ج2،القاهرة ،1996.
- الحسن بن موسى النوبختي،سعد بن عبد الله القمي ، دار الرشاد ،ط1 ،القاهرة ،1992.
- السيد عثمان بن حسين الجعلي المالكي ،سراج السالك شرح أسهل المسالك، ، دار صادر بيروت ،ط،1سنة 1994 .
- شهاب الدين الديلمي ،مطالع الشموس في معرفة النفوس، تح: عارف تامر ،منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت .
- عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق، المكتبة العصرية ،صيدا- بيروت 2013
- عبد الكريم الشهرستاني، الملل والنحل ، ج 1، دار الكتب العلمية ، بيروت- لبنان
- الكرماني، راحة العقل ،تح: مصطفى غالب ،دار الأندلس،بيروت ، 1968.
- مصطفى غالب ، مفاتيح المعرفة ، مؤسسة عز الدين ، بيروت- لبنان، 1982.
- المفضل بن عمر الجعفي، الهفت الشريف، تح: مصطفى غالب، ط2 ،دار الأندلس ،بيروت 1988.

- هنري كوربان، تاريخ الفلسفة الإسلامية ، عويدات للنشر والطباعة ، ط2 ، بيروت، 1998 .

المراجع:

- إحسان إلهي ظهير، الإسماعيلية تاريخ وعقائد، طبع في احدبرانترز- لاهور اسلام اباد د.ت .
- أحمد أمين ، فجر الاسلام ، دار الكتاب العربي ، ط2، بيروت،1969.
- أحمد أمين ، يوم الإسلام ، مكتبة النهضة المصرية ،القاهرة،د. ت.
- بارنار لويس ،أصول الإسماعيلية ،تق: الدكتور خليل احمد خليل ،دار الحداثة،لبنان ، 1980.
- حسين الموسوي ،كشف الأسرار وتبرئة الأئمة الأطهار، دار ابن حزم، ط1،القاهرة ، سنة 2008
- خليل مصطفى، سقوط الجولان ، دار النصر للطباعة الإسلامية ،شبرا، مصر 1980.
- سليمان الحلبي ، الطائفة النصيرية تاريخها وعقائده،ا دار السلفية، ط2 ،السنة 1984.
- شوقي أبو خليل ،أطلس الفرق والمذاهب الإسلامية، دار الفكر، دمشق ، 2009 .
- صابر طعيمة ،دراسات في الفرق، مكتبة المعارف، الرياض ،1400هـ .
- عبد الرحمن بدوي ،مذاهب الإسلاميين ،دار العلم للملايين ، بيروت ،1997

- عبد الرحمن بدوي، التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية ، مطبعة الاعتماد ،مصر .
- عبد الله بن محمد الغريب ، وجاء دور المجوس ،دار المعرفة ،بيروت
- علي محمد الصلابي،صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامي،مؤسسة إقرأ ،ط1 ،ج2 ،2007 .
- فيصل بدير عون ،علم الكلام ومدارسه، دار الثقافة للنشر والتوزيع ،القاهرة ، د.ت .
- محمد أمين غالب الطويل، تاريخ العلويين اللاذقية ، مطبعة الترقي، 1924 .
- إبراهيم مدكور ،في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيق، ج2، دار المعارف،القاهرة ،2003.
- محمد جمال الدين سرور ، تاريخ الدولة الفاطمية ،دار الفكر العربي ، القاهرة د.ت.

المعاجم والقواميس:

- الجرجاني ، معجم التعريفات ،دار الفضيلة للنشر والتوزيع ، القاهرة، 2004.
- جميل صليبا ، المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982.
- محمد بن أبي بكر الرازي مختار الصحاح ،تر:محمود خاطر، دار الفكر، ط1 ،السنة2001 ،بيروت- لبنان
- ابن منظور ،لسان العرب ج1 ، دار صادر، بيروت ،2011.

الموسوعات :

- عبد المنعم الحفني، موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية ، بتصرف، دار الرشاد القاهرة، ط1993 .

إهداء .....

كلمة شكر وعرفان .....

مقدمة عامة ..... أ

الفصل الأول : نبذة تاريخية عن أهم الحركات الباطنية

المبحث الأول: الحركات الباطنية – المفهوم والنشأة - التأويل ودوره في نشأة الحركات الباطنية 06

المبحث الثاني : الإسماعيلية فرقهم وعقائدهم و أهم شخصياتهم 13

المبحث الثالث:الإسماعيلية العبيدية النشأة والتطور وأهم الشخصيات 26

الفصل الثاني: الأصول والجذور الفلسفية للحركات الباطنية

المبحث الأول: الجذور الأفلاطونية 35

أ- الإلهيات 36

ب- نظرية المثل والممثول 43

المبحث الثاني: الأصول الفارسية واليهودية والمسيحية 46

أ-الإباحية 51

ب- االتناسخ 54

الفصل الثالث : تجليات الأصول الفلسفية في مذهب النصيرية

المبحث الأول: النصيرية: تعريفها ونشأتها وموقفها من الإمامة 57

المبحث الثاني : عقائد النصيرية وأشهر رجالاتها 62

المبحث الثالث: علاقة النصيرية بالاستعمار وفتوى ابن تيمية في الطائفة 78

خاتمة عامة 85

قائمة المصادر والمراجع 89

فهرس الموضوعات 94